تعالي العظيمة

تأليف / خالد بن محمد عطية

ح _ خالد محمد أحمد عطية ، ١٤٣٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

عطية، خالد محمد

تعالي العظمة / خالد بن محمد عطيه . مكة المكرمة ، ١٤٣٦هـ .

٢٠٠ ص ؛ ٢٤ سم

ردمك : ٠ . ٦٨٦٢ . ٠١ . ٦٠٣ . ٩٧٨

١- الله جل جلاله ٢- التوحيد أ — العنوان

ديوي ٢٤١ ٨٤٥/ ١٤٣٦

رقم الإيداع : ٨٤٥/ ١٤٣٦

ردمك : ٠ . ٦٨٦٢ . ٠١ . ٦٠٣ . ٩٧٨

الناشر . دار الطرفين . الطائف . وادي وج

ص ب : ٢٥٧٩ . هاتف : ٧٣٢٩٥٧٢

جوال : ٠٥٠٥٧٠٤٨٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ولا ثناء كما أثنى على نفسه بنفسه سبحانه وتعالى فقال جل شأنه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ . سبحانك ربنا ما عبدناك كما ينبغي حق عبادتك[1]، وما أطعناك كما ينبغي حق طاعتك، وما ذكرناك كما ينبغي حق ذكرك، وما حمدناك كما ينبغي حق حمدك، وما شكرناك كما ينبغي حق شكرك، وإلا لما فتر اللسان، وغفل الجنان عن ذكرك وشكرك وحُسن عبادتك، لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، حمداً لا يحصى ولا يعد، عدد خلقك ورضا نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك يا عظيم، لك الحمد حتى ترضى وإذا رضيت وبعد الرضا، حمداً كالذي نقول وخيراً مما نقول، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه يا عظيم سبحانك سبحانك ولا تقال إلا لك .

وأشهد أنك إله الحق والصدق، لا إله غيرك ولا رب لنا سواك، فاستحققت بذلك كل معاني الربوبية الحقة والألوهية الخالصة لما لك من شأنٍ عظيم وتصريف وتدبير، ولا تزال يدك في الكون تصرف وتدبر، ولولاك لما كان ما كان يا عظيم الشأن، ويا قديم

[1] وفي الحديث قوله ﷺ : **"إن لله تبارك وتعالى ملائكة ترعد فرائصهم من مخافته، ما منهم ملك تقطر من عينيه دمعة إلا وقعت ملكاً قائما يصلي، وإن لله عز وجل ملائكة سجوداً لله مذ يوم خلق الله السماوات والأرض لم يرفعوا رءوسهم، ولا يرفعون إلى يوم القيامة، وملائكة ركوعاً لم يرفعوا رءوسهم، ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وصفوفاً لم ينصرفوا عن مصافهم، ولا ينصرفون عنها إلى يوم القيامة، وإذا رفعوا ونظروا إلى وجه الله تعالى قالوا : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك"**[ابن أبي الشيخ في كتابه العظمة، والحاكم والطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان كلهم بنحوه، والمتقي الهندي في كنز العمال] .

السلطان . وأشهد أنك أرسلت الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام معشر هداية، وتبليغٍ ورحمة، مبشرين ومنذرين ولك الحمد يا علام أن جعلتنا من أمة خير البشر وسيد الأنام، محمد ﷺ النبي الخاتم، والإمام المقدم، المصطفى المختار، إمام المتقين وسيد الأبرار المرسلين، الهادي البشير والسراج المنير، الدال على الخير بدلالتك، والهادي بهدايتك، الأسوة، المعصوم بعصمتك، يا رحمن صلى الله وسلم وبارك وزاد وأنعم وأتمم وتفضل وأعطى وتكرم عليه، وعلى الآل والصحب والأتباع، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين اللهم آمين . ثم أما بعد :

فلو أن العباد قاموا لله تعالى مقام العبودية التامة حق القيام لعبادته سبحانه وتعالى وطاعته، والتمسك بمنهجه، وإقامة شرعه وتطبيق معالم دينه، والرضا بحدوده وأحكامه، وساروا على المنهج الحق الذي جاء به النبي الحق من عند الإله الحق الذي أنزل الكتاب الحق لكان خيراً لهم، ولو لم يفعلوا فما لهم سواه، وفي الأثر عن ربنا تبارك وتعالى في حديث قدسي : (**ابن آدم اعبدني على قدرك أعطك على قدري**) .

وكل ذلك لأنهم غفلوا عن حق قدر عِظَم مقام ربهم سبحانه وتعالى، الأعز الأكرم عظمت ذاته، وتقدست أسماؤه، وجلت صفاته، القائل في محكم كتابه العزيز المعجز: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ ﴿٦٧﴾ ﴾[الزمر] .

فمدلول هذه الآية أن لله تعالى قدراً لم يقم به أحد من عموم الخلق إلا ما كان من مقام النبوة والرسالة، ولذلك المقام خصوصية لما للأنبياء عليهم السلام من منزلة عليا عند الله سبحانه، دلهم عليها سبحانه وتعالى فكان هو الدليل والمعبود في آنٍ واحد، فعبدوه صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين بحسبما عرفوه .

فلله تعالى قدرٌ عظيم وشأن جليل لا يعلم ذلك على وجه الحقيقة إلا هو سبحانه القائل : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴿١٨﴾ ﴾[آل عمران] . وهي المسماة بشهادة

الذات للذات، لأنه أعلم بنفسه سبحانه وتعالى، ثم قال جلت عظمته : ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ﴿١٨﴾ ﴾[آل عمران] . أي والملائكة والعلماء هم أول من شهد على صدق ذلك، فصدّقوه وآمنوا به .

فلو علم البشر قدر ربهم سبحانه وتعالى وعلو مكانه وعظم شأنه، وما له من أسماء حسنى تدل على ذاته، وصفات عليا تدل على تعدد صفاته وتنوعها، وهي لا محدودة، لو علم ذلك لما استهانوا بمقام العبادة والطاعة للإله الحق سبحانه وتعالى عما يصفون . فكل صفة تدل على معنى ومضمون، والصفات متى كثرت، وتعددت دلت على حُسن الموصوف، لأن كل صفة منها لها معنىً بعينه، ومجموع الصفات يدل على غاية الكمال والجمال والجلال سبحانه وتعالى عما يصفون .

وكل ذلك فيما علم البشر، وفيما فهموا وإلا فحقيقة تلك الأسماء والصفات تخفى على من جهل الغاية والمنتهى في الحسن والاستغراق لكل اسم وصفة . هذا هو حد علم البشر مما علمهم الله تعالى وإلا فكيف سيحيطون بذات عليّة لا قُدرة لهم على تصوّر مجموع صفاتها، ومنتهى حقيقتها، سبحانه خالق عظيم بارئ بديع .

وفي الذكر الحكيم قوله تعالى : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾[الأنعام] . سبحانه في عليائه لا تجري عليه الأحداث يغير ولا يتغير، وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، ثم كتب في الذكر كل شيء، ثم خلق السماوات والأرض**)[البخاري] . فاستحق بذلك العبادة والطاعة، وأقوال العارفين بالله تعالى : اجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه، واجعل شكرك لمن لا تنقطع عليك نعمه، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه . سبحانه وتعالى عما يصفون .

الكون الفسيح :

فهذا الكون الفسيح مثلاً هو من صنيع الله تعالى وإبداعه، مادته مخلوقة لله تعالى، ووجوده على هذه الهيئة من الله سبحانه، وتدبيره وتصريفه على ما هو عليه بأمر الله عز وجل، ولا زالت يد الله عز وجل وإرادته وقدرته هي التي تسيِّره وتدبره بحكمه وحكمته سبحانه، وبما أراد جل في علاه، وكيفما شاء جلت عظمته، وهو ليس كل خلق الله تعالى حتماً، بل هو جزء مرئي للبشر مما خلق الله تعالى وأبدع .

ولو تفكر الإنسان وتدبر وتأمل في عِظَم هذا الملكوت العظيم لتبين له أن من خَلَقَه هو ولا شك أعظم منه، وفي الحديث الشريف قوله ﷺ : (**تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله**)[البيهقي في شعب الإيمان والطبراني في الأوسط والألباني في الصحيحة] . وفي رواية قوله ﷺ : (**تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله "فتهلكوا**")[الطبراني في الأوسط وغيره وصححه الألباني] . وزاد في رواية عنده : (**فإنكم لن تدركوه إلا بالتصديق**) .

فهذا الكون العظيم يدل على خالق عظيم، وموجد كريم، وصانع عليم، ومصرف حكيم، ومقتدر حليم رحيم، سبحانه وتعالى عما يصفون .

ولو نظر الإنسان من حوله في جنبات هذا الكون نظرة شمولية لوجد أن أكبر شيء فيه بحسب ما يرى ويشاهد، هو السموات والأرض والشمس والقمر، قال جل في علاه في شأن السماء والأرض : ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[غافر] .

وقال سبحانه وتعالى في شأن الشمس والقمر : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ

إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[فصلت] هذا فيما ظهر للإنسان من عموم خلق الله تعالى، والذي لا يعلمه إلا هو سبحانه وتعالى عما يصفون .

فكوكبنا الأرض مثلاً هو مقر حياتنا الدنيا ولنا عليه معائش ومستقر وتقلبات، ولم نُحط حتى الآن إلا بقدر يسير جداً مما فيه من علوم وكشوفات .

ولو نظرنا إلى ما قد توصل إليه العلماء من حقائق وأسرار واكتشافات عنها لرأينا العجائب والأعاجيب فيها وفي تكوينها فسبحان الخلاق العليم .

فمثلاً نحن نرى الأرض ثابتة في حين ذكر العلماء أن أرضنا هذه تسير بسرعة (١٩) ميلاً في الثانية حول الشمس، أما سرعة دورانها حول محورها فقدرت بـ (٤٠٠) متر في الثانية، وأن عمرها قُدِّر بقرابة (٤٦٠٠) مليون سنة ضوئية[1]. وأن وزنها هو (٦٠٠٠) مليون مليون مليون طن . وأن طول محورها يبلغ قدره (٢٥٠٠٠) ميل، وعرضها يبلغ (٨٠٠٠) ميل .

أما بالنسبة للقمر فيبلغ حجمه (خُمس) حجم الأرض، وهو يبعد عنها مسافة (٢٣٨,٠٠٠) ميل، أو (٣٨٦,٠٠٠) كيلو متر تقريباً . وسرعة دورانه حول الأرض قدرت بـ (٢٣٠٠) ميل في الساعة، وجاذبيته تقدر بسدس جاذبية الأرض .

في حين أن بُعد الشمس عن الأرض هو قرابة (٩٣) مليون ميل، أو (١٥٠) مليون كيلو متر . ورغم ذلك نراها في السماء كالقمر، وذلك لأن حجم الشمس أكبر من حجم الأرض بمليون وثلاث مئة ألف مرة . وهي تبعد عنها بـ (٤٠٠) مرة ضعف

[1] تبلغ سرعة الضوء في الفراغ (٣٠٠,٠٠٠) كيلو متر في الثانية، وهذا يعني أن سرعة الضوء في السنة الواحدة تصل إلى مسافة (٩٤٦٠,٨٠٠,٠٠٠,٠٠٠) . أي أكثر من تسعة مليون مليون كيلو متر في سنة واحدة، هذا هو المقدار المعروف عند الفلكيين بالسنة الضوئية .

بُعد القمر عنا . وسرعة الشمس في الدوران قدرت بـ (٢٠٠) ميل في الثانية . في حين أن وزنها أكبر من وزن الأرض بـ (٣٣٢,٠٠٠) مرة . وقُدِّر عمر الشمس بقرابة (١٠,٠٠٠) مليون سنة ضوئية . وجاذبيتها ضعف جاذبية الأرض بـ (٢٨) مرة . وتصل درجة حرارتها إلى (٦٠٠٠) درجة مئوية على السطح، وفي النواة أي القلب تصل إلى قرابة (١٥) مليون درجة مئوية . وهي تكمل دورة كاملة حول نفسها في (٢٧) يوماً .

وهذه الشمس تعتبر مجرد نجم صغير، وكوننا الفسيح به من النجوم العملاقة ما يفوق حجم الشمس بألف مليون مرة .

والعجيب أن القدر الذي يصلنا من ضوء الشمس هو مقدار ضئيل جداً جداً جداً يقدر بجزء واحد من ألف جزء على المليون، وباقي شعاعها ضار وقاتل لا يصل إلينا بسبب جو الأرض المتأيِّن، وبسبب جاذبيتها ومجالها المغناطيسي الذي تنحرف تلك الأشعة، وإلا لمات كل شيء على وجه الأرض .

وفي كل ثانية واحدة تحرق الشمس ما يعادل (٦٠٠) مليون طن من حجمها من غاز الهيدروجين . وهي تقع في أحد أذرع مجرتنا الكبيرة، وتبعد عن مركزها مسافة تقدر بـ (٥٠,٠٠٠) مليون سنة ضوئية . وفي لحظة واحدة فقط تصدر الشمس ضوءاً وطاقة يفوقان ما أنتجه الإنسان من طاقة منذ خلق .

وهذه الشمس يدور حولها (٩) كواكب سيارة تسمى بالمجموعة الشمسية، وأرضنا هي الثالثة في الترتيب بعد عطارد والزهرة ثم يأتي بعدها المريخ فالمشتري ثم زحل ثم أورانوس ثم نبتون وآخرها وهو التاسع والأبعد من هذه الكواكب عن الشمس، وهو المسمى بلوتو الذي يبعد عنها مسافة (٧٣٧٥) مليون كيلو متر . وهذا كله داخل الأسرة الشمسية . وهذه المجموعة الشمسية ما هي إلا تابع بسيط في مجرة تسمى درب

التبانة، وهي توجد ضمن سديم عظيم، هو عبارة عن تجمع عنقودي لعدة مجرات يصل إلى (٣٠) مجرة، وفيها من عدد النجوم قرابة (٥٠٠,٠٠٠) مليون نجم .

وهذه المجرة يبلغ طولها (١٠٠,٠٠٠) مليون سنة ضوئية، وهو ما يعادل مسافة (٦٠٠,٠٠٠) مليون مليون ميل . في حين أن سمكها هو (٢٠,٠٠٠) سنة ضوئية . وهي تلف وتدور حول نفسها بسرعة (١٤٠) ميل في الثانية . وتكمل دورة واحدة في ما يقارب (٢٣٠) مليون سنة .

وقد قُدِّر عمر الكون إجمالاً بحسب الكشوف العلمية وما توصل إليه علماء الفلك بنحو (١٦) مليار سنة؛ حسب نظرية الانفجار العظيم التي ظهرت عام (١٩٣٣م)، وقبل كانت مادته منضغطة ثم انفتقت بعد ذلك[١].

وهذا بالضبط الذي ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴿٣٠﴾ ﴾[الأنبياء] .

وما الأرض إلا مجرد فرد تابع في المجموعة الشمسية التي قُدِّر عمرها (٦) مليارات سنة، وهذه المجموعة هي أيضاً تعتبر فرداً تابعاً في مجرة درب التبانة، التي هي أيضاً تعتبر فرداً تابعاً في المجموعات النجمية، أو ما يسمى بالسُدم .

وتلك السُدم منتشرة في الكون الفسيح، الذي لا يعلم كنهه إلا الله فسبحانه وتعالى عما يصفون .

---

[١] قال علماء الفلك والفيزياء الحديثة : إن عمر الإنسان بالنسبة لعمر الكون هو قدر جزء بسيط جداً جداً جداً . فلو افترضنا مثلاً أن عمر الكون هو سنة واحدة والتي فيها (٨٦٤٠) ساعة، لكان عمر الإنسان من ذلك هو آخر ثماني ساعات فقط من آخر يوم في تلك السنة، أي بنسبة ١ إلى ١٠٧٩ ضعفاً . فسبحان الله وتعالى عما يصفون .

أما لو خرجنا إلى نطاق النجوم الأخرى فنجد أن أقرب نجم منا هو المسمى الأقرب القنطوري، وهو يبعد عنا مسافة (٢٥) مليون مليون ميل أي مسافة (٤,٢٥) أربع سنوات ضوئية وربع السنة، أي أنه أبعد عن الأرض من الشمس بـ (٢٧٠,٠٠٠) مرة أو (٧٠٠٠) مرة عن بُعد بلوتو عنا؛ آخر الكواكب الشمسية .

في حين أن ألمع النجوم في السماء هو نجم الشعرى اليمانية الذي قال الله تعالى فيها : ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾[النجم] وهي تبعد عنها مسافة (٥١) مليون مليون ميل أي مسافة (٨,٦٥) ثمان سنوات ضوئية وسبعة أشهر .

وهذا يعني أننا لا نرى النجوم حقيقة من على وجه الأرض، وإنما نرى ضوءها الذي استغرق ملايين السنين حتى وصل إلينا، وهذا ما بينه جل في علاه بالضبط بقوله سبحانه في كتابه العزيز : ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ ﴾[الواقعة] .

نلاحظ أنه جل في علاه أقسم بمواقع النجوم، وليس بالنجوم ذاتها؛ لأن النجوم تكون قد غيرت مواقعها، أو انفجرت وتلاشت عبر ملايين السنين، والذي نراه على وجه الحقيقة مجرد ضوء انبعث من نجم يسبح في فضاء فسيح استغرق وصول ضوئه كل تلك السنين . فسبحانه وتعالى عما يصفون .

أما لو خرجنا إلى حدود المجرات الأخرى ونطاقها فنجد أن أقرب المجرات تبعد عنا مسافة (١٦٠,٠٠٠) سنة ضوئية، وهما مجرتا سحابة ماجلان الكبرى وسحابة ماجلان الصغرى، وأبعد منهما بقليل مجرة المرأة المسَلسَلة (الأندروميدا)، والتي تبعد عنا مسافة (٢٢٠,٠٠٠) سنة ضوئية .

في حين أن أبعد السُدم عنا يبلغ مسافة (١٤٠) مليون سنة ضوئية . وبحسب المتاح للعلماء الفلكيين فإن أقرب مرقب فضائي يرينا نحو من (١٥٠٠) مليون نجم في السماء وأن أقصى نقطة تم قياسها حتى الآن هي (١٤٠) مليون سنة ضوئية، تحوي

قرابة مليوني سديم في كل سديم منها قرابة (٢٠٠٠) مليون نجم . أي أن مجموع النجوم التي تقع تحت نطاق مرأى المرقب الفضائي هو (٤٠٠٠) مليون مليون شمس أي نجم .

وعلى ذلك فإنه وبحسب ما توصل إليه العلماء من حسابات فلكية في أحسن الأحوال أقل من المتوقع وليس أكثر، ذكروا أنه وبموجب قانون نظام تمدد الكون فإن عدد النجوم فيه هو (١١٠٠٠) مليون مليون مليون شمس .

وأن عدد المجرات في الكون يصل إلى قرابة (١٠٠,٠٠٠) مليون مجرة، مسافات شاسعات مهولة في كون فسيح، وبحر من الفضاء الممتد .

وهناك نجوم عملاقة وكبيرة جداً تصل قوة طاقتها وإضاءتها إلى قدر مئة ألف مليون شمس، ولكي نصل إلى أقرب نجم منا بحسب تقنياتنا المحدودة فإننا نحتاج إلى (٨٠٠٠) سنة حتى نصل إليه . فيا لله ! سبحانه وتعالى عما يصفون .

وإذن فحقيقة الإنسان أنه مجرد ذرة تمشي على الأرض، وهذه الأرض هي مجرد جسيم صغير يتبع لأمه الشمس، وهذه الشمس وتوابعها هي مجرد جسيمات صغيرة جداً تابعة لأمها المجرة التي تحوي ملايين ملايين النجوم مثلها، وهذه المجرة ما هي إلا واحدة من ملايين المجرات غيرها .

وتلك المجرات ما هي إلا واحدة من ملايين السُدم الفضائية، وتلك السُدم ما هي إلا جزء بسيط يسبح في كون فسيح لا يعلم كنهه ومنتهاه إلا الله سبحانه وتعالى، قال جلت قدرته وعلا شأنه : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[الذاريات] . أي بنيناها بتأييد وقوة وقدرة وإحكام محكم، تدل على قدرة الصانع وعظمة الخالق، وموسعون أي أن الكون في اتساع دائم وتمدد مستمر فسبحانه وتعالى عما يصفون .

وقد أثبت العلم فعلاً هذه الحقيقة، وهو أن الكون في اتساع وتمدد مستمر؛ وذلك بقياس لون الضوء المنبعث من النجوم، فذكروا أن الضوء أصلاً يحتوي على ستة ألوان

تعرف بألوان الطيف؛ وهي (الأحمر والبرتقالي والأصفر والأخضر والأزرق والنيلي والبنفسجي) فالضوء كلما اقترب منا أعطى لوناً يقترب من البنفسجي، وكلما ابتعد منا أعطى لوناً يقترب من الأحمر .

فقالوا إن الضوء المنبعث من النجوم ينزاح نحو اللون الأحمر، وبالتالي فهي تبتعد عنا، وإذن فالكون في اتساع وتمدد مستمر[1].

وإذا كان كل هذا فيما ظهر للعباد وتجلى من خلق الله تعالى لهم، مما علّمهم الله تعالى إياه، واتضح لهم من خلاله عِظم هذا الكون الفسيح، فكيف بما خفي عنا من ملكوت لا يعلم كنهه إلا الله جل في علاه .

وهذا كله فيما تحت أديم السماء، فكيف بالسماء وارتفاعها، وعلوها وسمكها وطولها وعرضها، لا يعلم ذلك إلاه سبحانه وتعالى عما يصفون .

العالم العلوي :

فإذا كانت السماء ! سقفاً مرفوعاً وخلقاً محكماً مذهلاً وغيباً مجهولاً كبيراً لم نقف عليه، ولم نستطع القرب منه، كيف وكل تلك المسافات الشاسعات في بحر من الفضاء عبر ملايين ملايين السنين الضوئية ونحن تحتها لم نقترب منها !

فكيف بها وبحقيقة صنعها، وبعظم ذلك قال سبحانه : ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ ﴾[النازعات] .

[1] تسمى هذه النظرية بنظرية الانزياح للأحمر، وهي التي أثبتت اتساع الكون وتمدده، ومضمونها أن الضوء المنبعث هو إما : موجات منضغطة تعطي لوناً أزرق، وإما موجات ممتطة تعطي لوناً أحمر، وهذا يعني التوسع .

وفي كل سماء خلق لا يعلم سرهم إلا الله تعالى، كما قال سبحانه في محكم التنزيل : ﴿ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ﴿١٢﴾ ﴾[فصلت] . قال جمع من المفسرين : أي في كل سماء خلق لا يعلمه إلا الله تعالى[1].

[1] هناك آيات كثيرة في كتاب الله تعالى فيها إشارات خفية تدل على أن في هذا الكون خلقاً آخر غير الذين هم على الأرض، كما أن هناك أحاديث وردت تشير إلى ذلك إشارة خفية أيضاً . فمن تلك الآيات قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[الإسراء] . فمفاد الآية أن بني آدم ليسوا هم أفضل الخلق في هذا الكون، وهناك الكثير أفضل منهم، فمن هم يا ترى، هم ولا بد خلق مخير مثلنا وليسوا الملائكة؛ لأن الملائكة خارج نطاق التخيير فهم مسخرون، وحتى وإن قلنا أن الملائكة داخلون في التفضيل، فلفظ الآية (وفضلناهم على كثير) والمعنى أنه يوجد هناك خلق كثير، بل إن الأكثر من خلق الله تعالى هم غيب مجهول؛ لأن لفظ كثير يقتضي وجود الأكثر، والتفضيل كان على كثير، وليس على الأكثر . والله تعالى أعلم بهم .

– ومنها قوله جلت عظمته : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[النحل] فنلاحظ قوله سبحانه وتعالى (من دابة) عطفاً على السموات والأرض، وهذا يعني أن في السموات دواب كما في الأرض وهم غير الملائكة ولا شك لأنه عز وجل عطف الملائكة على الدواب، فالدواب غير الملائكة عليهم السلام .

– ومنها قوله جلت قدرته : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾[الشورى] . فنلاحظ قوله سبحانه (وما بث فيهما من دابة) أي في السموات والأرض، وهذا يعنى أن هناك دواب في الأرض، ودواب في السموات، الله تعالى أعلم بهم .

وأما من الأحاديث فقوله ﷺ لما ذكر أهل الجنة ودخولهم إياها فقال ﷺ : (**تحاجت الجنة والنار، فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة : ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم، قال الله تبارك وتعالى للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار : إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ**

وهذه السموات السبع بين كل سماء وسماء فضاء مهول وكون فسيح متسع لا يعلمه إلا الله تعالى .

وقد ورد في بعض الأحاديث والآثار أن بين كل سماء وسماء مسيرة خمس مئة عام، وأن سمك كل سماء هو مسيرة خمس مئة عام، وهكذا حتى السماء السابعة، ففي حديث طويل عند الترمذي قال فيه ﷺ : (... **فإن فوق ذلك سماء أخرى هل تدرون كم ما بينهما،** قالوا : الله ورسوله أعلم، قال : **فإن بينهما مسيرة خمسمائة عام حتى عدَّ سبع سموات بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام،** ثم قال : **هل تدرون ما فوق ذلك،** قالوا : الله ورسوله أعلم، قال : **فإن فوق ذلك العرش)**[الترمذي وأحمد والطبراني في الكبير والهيثمي في المجمع] .

وفي الأثر عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : (بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وبين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي وبين العرش مسيرة خمسمائة عام والعرش فوق الماء والله فوق العرش يعلم ما أنتم فيه وعليه) . وبعد كل ذلك، وفوق السماء السابعة يوجد البيت المعمور الذي قال فيه ﷺ : (... **يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم** ...)[متفق عليه] . أي لا يعودون إليه إلى يوم القيامة، فكم هي أيام الدنيا منذ خُلقت عبر ملايين السنين ! وكم هو عدد الملائكة إذا كان من صلى في البيت المعمور مرة

حتى يضع رجله فتقول : قط قط، فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقاً)[متفق عليه] . ففي الحديث قوله ﷺ : (ينشئ لها خلقاً آخر) فيه دلالة أنهم من غير الثقلين الذين قد دخلا الجنة وانتهى أمرهم .

إذن فالله سبحانه وتعالى وحده الذي له ملك السموات الأرض ومن فيهن، وهو جل جلاله أعلم بخلقه، محيط بهم، لطيف بهم، رحيم بهم، سبحانه وتعالى عما يصفون .

واحدة لا يعود إليه ثانية أبداً إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها ! سبحانه وتعالى عما يصفون .

وبعد البيت المعمور سدرة المنتهى، وهي شجرة سدر عظيمة قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : (... لما أسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السابعة إليها ينتهي ما يعرج من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها، قال : ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾ قال : فراش من ذهب ...)[مسلم] .

هذه السدرة العظيمة التي قال فيها ﷺ : (**سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة**)[متفق عليه . وهَجَر مكان شرق جزيرة العرب، والقلال جمع قُلة أي جِرار الماء الكبيرة] . وقال فيها ﷺ : (**حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى، وغشيها ألوان لا أدري ما هي**)[متفق عليه] .

وفوق سدرة المنتهى يأتي الكرسي قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه : سئل رسول الله ﷺ عن قول الله : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ﴿٢٥٥﴾﴾ قال : (**الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل**)[الحاكم والدارقطني والذهبي وصححه الألباني] .

وفي الحديث الآخر في بيان عظم الكرسي قوله ﷺ : (**ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة**)[أحمد والبيهقي في الأسماء والصفات وذكره الألباني في الصحيحة] .

وفي رواية ذكرها ابن كثير في تفسيره لآية الكرسي : (**ما السماوات السبع وما فيهن وما بينهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة والكرسي في العرش**

كتلك الحلقة في تلك الفلاة) . وفي رواية : (**والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل)** .

فإذا كانت كل تلك المسافات الشاسعات في كون واحد، وتحت سماء واحدة ! ثم هي سبع سموات وبين كل سماء وأخرى ذاك القدر العظيم من البُعد والفضاءات وما فيهن من أمور عظيمة مهولة ! وكل ذلك بالنسبة للكرسي كحلقة ملقاة في صحراء شاسعة ! إذن كم هو قدر ذاك الكرسي !

وإذا كان هذا عِظمه فلا شك من أن صانعه وصاحبه هو أعظم منه فسبحان الله العلي العظيم، ولذلك كانت آية الكرسي هي أعظم آية في كتاب الله تعالى؛ لأنها أعطت هذا المعنى وأشارت إليه .

وفوق الكرسي يأتي العرش، عرش الرحمن سبحانه وتعالى قائم فوق أربعة أملاك شداد، ويوم القيامة يزيدون أربعة آخرين فيصبرون ثمانية قال سبحانه وتعالى في الذكر الحكيم : ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ ﴾[1] [الحاقة] . هذا العرش الذي قال ﷺ في وصف حملته : (**أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام)** وفي رواية : (**أذن لي أن أحدثكم عن ملك من حملة العرش بُعد ما بين شحمة أذنه وعنقه مخفق الطير سبعمائة عام)**[أبو داود والطبراني في الأوسط وصححه الألباني] . وذكر بعض المفسرين في بعض الأخبار أن ما بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين

[1] قال بعض أهل التفسير كالطبري وابن كثير وأبو السعود وغيرهم رحمهم الله تعالى في تفسير هذه الآية : إن حملة العرش الدائمين هم أربعة ملائكة، ويوم يجيء الرب سبحانه وتعالى يوم القيامة يزيدون أربعة آخرين فيصيرون ثمانية .

حجاباً من ظلمة، وسبعين حجاباً من نور، غِلظُ كل حجاب مسيرة خمس مئة عام لولا ذلك لاحترقت حملة الكرسي من نور حملة العرش فسبحان الله العظيم .

ثم بعد ذلك تأتي الحُجُب وهي حُجُب الله تعالى، ففي الحديث الشريف قوله ﷺ : (**إن الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور أو النار لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**)[متفق عليه] .

وفي الأثر عنه ﷺ : (أن أقرب الخلق إلى الله جبريل وميكائيل وإسرافيل، وهم منه مسيرة خمسين ألف سنة، جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وإسرافيل بينهما)[الذهبي في العرش والأصبهاني في العظمة] .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال : بينا رسول الله ﷺ ومعه جبريل يناجيه إذ انشق أفق السماء فأقبل جبريل يتضاءل ويدخل بعضه في بعض ويدنو من الأرض فإذا مَلَك قد مَثَل بين يدي رسول الله ﷺ فقال : يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويخيِّرك بين أن تكون نبياً ملكاً وبين أن تكون نبياً عبداً ؟ قال رسول الله ﷺ : (**فأشار جبريل إليَّ بيده أن تواضع، فعرفت أنه لي ناصح، فقلت : عبد نبي، فعرج ذلك الملك إلى السماء، فقلت : يا جبريل قد كنت أردت أن أسألك عن هذا فرأيت من حالك ما شغلني عن المسألة، فمن هذا يا جبريل ؟ قال : هذا إسرافيل خلقه الله يوم خلقه بين يديه صافاً قدميه لا يرفع طرفه بينه وبين الرب سبعون نوراً ما منها نور يدنو منه إلا احترق بين يديه اللوح المحفوظ، فإذا أذن الله في شيء في السماء أو في الأرض ارتفع ذلك اللوح فضرب جبهته فينظر فيه فإذا كان من عملي أمرني به، وإن كان من عمل ميكائيل أمره به، وإن كان من عمل ملك الموت أمره به، قلت : يا جبريل على أي شيء أنت ؟ قال : على الرياح**

والجنود، قلت : على أي شيء ميكائيل ؟ قال : على النبات والقطر، قلت : على أي شيء ملك الموت ؟ قال : على قبض الأنفس، وما ظننت أنه هبط إلا بقيام الساعة وما ذاك الذي رأيته مني إلا خوفاً من قيام الساعة)[البيهقي في الشعب والطبراني في الكبير والهيثمي في المجمع] . فإذا كان هذا هو مقام إسرافيل عليه السلام من الله تعالى، وهو أقرب الملائكة منه عز وجل فكيف بمن سواه من الملائكة الكرام، وكيف بغيرهم من بني البشر !

وفي وصف جبريل عليه السلام قال رسول الله ﷺ : (**رأيت جبريل وله ستمائة جناح ينتثر من ريشه التهاويل من الدر والياقوت**)[أحمد والبيهقي في الدلائل وذكره الألباني في الصحيحة] . وفي رواية في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى : ﴿ **فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩** ﴾ قال : (رأى النبي ﷺ جبريل له ستمائة جناح)[متفق عليه] .

وفي رواية عن ابن مسعود قال رضي الله تعالى عنه : (رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق، يسقط من جناحه من التهاويل من الدر والياقوت ما الله به عليم)[أحمد] .

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**مررت ليلة أسري بي على الملأ الأعلى فإذا جبريل كالحِلْس البالي من خشية الله**)[الطبراني في الأوسط والهيثمي وغيرهما وصححه الألباني] . والحلس البالي هو الجلد الممزق . ملائكة عِظام هذا هو شأنهم بين يدي الرحيم الرحمن سبحانه وتعالى عما يصفون .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال ﷺ : (**أُذِن لي أن أحدث عن ديك قد مرقت رجلاه الأرض وعنقه مُنثَنٍ تحت العرش، وهو يقول : سبحانك ما**

أعظمك ربنا، فيرد عليه : ما علم ذلك من حلف بي كاذباً)[الحاكم والطبراني في الأوسط والهيثمي في المجمع وصححه الألباني][1].

وفي وصف الحُجُب قال أبو ذر رضي الله تعالى عنه سألت رسول الله ﷺ : يا رسول الله هل رأيت ربك فقال ﷺ : **(نورٌ أنَّىَ أراه)**[مسلم] . أي كيف أراه وحجابه النور . وفي رواية قال : **(رأيت نوراً)** .

قال شُراح الحديث والمعنى (غلبني من النور وبهرني منه ما منعني من رؤيته) وهي الحُجُب سبحانه وتعالى عما يصفون . فإذا كان هذا هو شأن الملائكة الكرام المقربين من رب العالمين المنزهين عن المعاصي المجبولون على الطاعة المطلقة، فكيف بمن سواهم من البشر الضعاف المذنبين المفرطين .

رب العزة والجلال :

ثم يأتي مالك الملك في مقامه الأعلى، الملك الجبار القوي المتعال الرحمن الرحيم سبحانه وتعالى مستوياً فوق العرش[2]، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ﴿٤﴾﴾[السجدة] . جل جلاله يدبر أمر ملكه بأمره وإذنه وعلمه وحكمه وحكمته من

---

[1] أي ملك يسمى الديك رجلاه في الأرض ورأسه تحت العرش هذا عِظَمه، وهذا قوله، وهذا رد الله تعالى عليه فسبحان الله وتعالى العلي العظيم .

[2] فأين كان قبل ذلك . عن لقيط بن عامر رضي الله تعالى عنه قال : قلت : يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : **(كان في عماء، ما تحته هواء، وما فوقه هواء، وخلق عرشه على الماء)**[الترمذي وابن ماجة وأحمد] . وعن عمران ابن حصين رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض)**[البخاري] .

غير أن يجهده أو يتبعه أو يعيه ذلك[1]. يدبر شؤون الخلق مصداقاً لقوله تعالى : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾[الرحمن][2]. سبحانه على عرشه استوى يطلع على عباده يعلم سرهم وجهرهم ويسمع نجواهم وعلانيتهم ويرى مكانهم لا يخفى عليه شيء من أمرهم يدبر كونه ويصرف أمور خلقه ويحفظهم بحفظه ويكلؤهم بكلئه ويرعاهم برعايته سبحانه وتعالى عما يصفون .

يعطيهم ولا يحرمهم مهما عصوه وكفروا به يتقرب إليهم بنعمه ونعيمه يستر عيوبهم ويكشف كروبهم والسوء عنهم ويفرج همومهم ويزحزح الشر عنهم يغفر لهم متى استغفروه ويصيبهم بالهين من بلائه ليستفيقوا ويعرضهم للمحن متى عنه غفلوا ليذكرهم بعذابه وينبههم من غفلتهم سبحانه وتعالى عما يصفون .

---

[1] جاء حبر إلى رسول الله ﷺ فقال : (يا محمد إن الله يضع السماء على إصبع، والأرض على إصبع، والجبال على إصبع، والشجر والأنهار على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يقول بيده : أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ وقال : ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾) . وفي رواية قال : جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال : (يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول : أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾)[البخاري] .

[2] وفي الأثر أنه ﷺ سئل عن هذه الآية فقيل له : يا رسول الله وما ذاك الشأن فقال ﷺ : (**من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين**)[ابن ماجة والبزار وابن حبان والطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان] . وفي أثر آخر : (**أمور يبديها ولا يبتديها**)[المناوي في فيض القدير، وذكره بعض أهل التفسير في تفاسيرهم كابن عادل في تفسيره اللباب في علم الكتاب، وابن عجيبة في البحر المديد، والشعراوي وغيرهم] .

يعرضهم لرحمته ليرحمهم يحلم عن المسيء سنين طويلة لعله يتوب وينيب لا يأخذ العبد من أول ذنب بل يستره لعله يتذكر أو يخشى، يرفع الضر عن الخلق ولو كفروا وفجروا، لا يعصونه إلا بإذنه وعمله وحلمه ولو شاء ما كان ولو شاء ربك ما فعلوه ولو شاء لأخذهم أخذ عزيز مطلع مقتدر سبحانه وتعالى عما يصفون .

لا تختلط عليه النفوس ولا تلتبس عليه الألسنة ولا يشغله شأن عن شأن يرحم العبد أكثر من رحمة أمه به، نعمه خير وعطاؤه خير وبلاؤه خير وكل قدره خير على خير لو فطن العباد لذلك وفهموه، وضع في كونه آيات وآيات وعبراً وعظات ومعجزات ظاهرات لعلهم يتفكرون ولعلهم يتذكرون سبحانه وتعالى عما يصفون .

يتغافلون عنه وهم يأكلون نعمه ويعبدون غيره وهو يدعوهم لعبادته، ويقيمون شرع سواه وقد أعطاهم خير منهج لهم لو كانوا يعلمون، يحب خلقه لأنهم صنعته وبيده وهم عنه معرضون، يتوب على العبد متى تاب ولو كفر به وعصاه دهراً طويلاً ولو مدى عمره بل ويبدل سيئاته حسنات سبحانه وتعالى عما يصفون .

يخلق فيعبد غيره ويعطي فيشكر سواه يمنّ بالنعم فلا يُعترف بحقه وأن حُمِد وشُكر فلا يحمد إلا قليلاً مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ] . لا يتغيّر على العبد ولا يحقد عليه ولا يضمر له السوء فربما عصاه سنين طويلة فما أن يتوب حتى يجد الله سبحانه وتعالى تواباً رحيماً، جعل في جسم الإنسان من الأمور الإعجازية ما لا يمكن إدراكه سبحانه وتعالى عما يصفون .

كل الخلق في قبضته وكل شؤونهم بتصريفه وكل الكون يسير بتدبيره لا يخرج أحد عن نطاق سيطرته أو علمه وحكمه ولا طاقة لهم على ذلك، وهم بدونه لا شيء ضعاف محتاجون فقراء معدمون سبحانه وتعالى عما يصفون .

أبدع كل شيء خَلَقه وأعطى كل شيء خَلْقه ويعطي العباد قبل أن يطلبوا ويهبهم أكثر مما يستحقوا لا يمنع خيره لكفر أو عصيان ولا يعجل عقوبته لفاجر أو كافر بل يحلم ويستر . يجازي بالحسنة بأفضل منها وبأضعاف مضاعفة ويجزي بالسيئة بمثلها أو يغفرها متى شاء لمن شاء سبحانه وتعالى عما يصفون .

يريد لخلقه الخير مع غناه عنهم ولا يشكرونه كما ينبغي رغم استحقاقه لذلك ورغم حاجتهم لنعمه ولحفظه، فرغم حاجتهم له هم عنه معرضون، ورغم غناه عنهم هو لهم وبهم رؤوف لطيف بر رحيم سبحانه وتعالى عما يصفون .

يرحمهم أكثر من رحمتهم لأنفسهم فرغم عِظم حقه وقدره أمرهم أن يعبدوه على قدرهم ثم هو سبحانه يعطيهم على قدره هو، لا على قدر عبادتهم له وتفريطهم فيها، فالأمر بالعبادة منه على قدر ضعفهم والعطاء بالنعم والأجر منه سبحانه على قدر عظمته وقدره وقدرته عز وجل شأنه وسبحانه وتعالى عما يصفون .

يعطى الدنيا لمن أحب ولمن لا يحب ابتلاء ولكنه سبحانه لا يعطي الآخرة ونعيم الجنة إلا لمن أحب سبحانه وتعالى عما يصفون . جعل لعباده الصالحين وهيأ لهم بعض نعيم الدنيا منَّة منه وفضلاً .

وعجّل العقوبة للفاسقين ببعض العذاب الأصغر تخفيفاً لهم ليتجاوز عنهم في الآخرة مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى : ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾[1] [السجدة] . تنبيهاً لما هم فيه من غفلة وتوهان .

[1] العذاب الأدنى هو ما كان في الدنيا من باب البلاء والمصائب وما يجري على الإنسان فيها . والعذاب الأكبر هو عذاب جهنم يوم القيامة .

وأعد لعباده الصالحين في الجنة نعيماً لا يوصف قال فيه سبحانه : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة] . تفضلاً منه وزيادة وامتنان سبحانه وتعالى عما يصفون . وأعد لعباده العصاة الفاسقين في النار ما يفوق تصورهم وخوَّفهم به قبل أن يلقوه ليحجزهم عن الكفر والعصيان وويل لمن تجاهل وتعامى وتمادى، وصفه بعدة أوصاف ليرهب به فهو عذاب عظيم أليم مهين شديد مقيم، فهو مهين للروح أليم للجسد شديد في حقيقته عظيم في هيئته ولا ريب ومقيم في امتداده واستمراره .

لماذا ؟

لأنه عز وجل بيّن لعباده في الدنيا كل بيان بما جاءهم به من آيات باهرات ومعجزات ظاهرات ما كان يستوجب أن يكونوا مؤمنين به ولكنهم أعرضوا عن كل ذلك وتعاموا عنه فاستحقوا ذلك العذاب لا لأنهم لم يؤمنوا به سبحانه ويعبدوه ويطيعوه، بل لأنهم ما عرفوا قدره وعظمته التي استوجبت ألا يعبد إلا هو سبحانه فهجروا ذلك وراحوا يصرفون العبادة لمن لا يستحقها ولم يأمرهم بها وتركوا من يستحق ومن أمرهم بها فكانوا بحق كافرين فسبحانه وتعالى عما يصفون .

عليٌّ في مكانه عظيم في شأنه استوى على عرشه برحمة منه لعموم خلقه مصداقاً لقوله عز وجل : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾[طه] . لم يقل سبحانه الجبار أو القهار أو العزيز أو القوي أو ذو البطش أو المنتقم على العرش استوى بل قال سبحانه : (الرحمن على العرش استوى) فسبحانه وتعالى، لأن صفة الرحمة يحتاجها العباد في الدنيا في سائر أمور معاشهم، كما أنهم يحتاجونها في الآخرة أكثر من أي صفة أخرى من صفاته عز وجل فسبحانه وتعالى عما يصفون .

جعل لهم من مواسم الخير ومواطن الرحمات ما يفوق الحصر، وجعل لهم من الأعمال الصالحات ما يناسب الجميع وجعل الاستغفار والتوبة بابين مفتوحين في كل وقت ليلج من أراد على ربه عز وجل مباشرة بلا أية وسائط، فيجد الله غفوراً رحيماً سبحانه وتعالى عما يصفون .

أتاح لخلقه كل النعم ودفع عنهم عموم النقم وأمرهم بالقليل من العبادة والطاعة وبحسب الاستطاعة وتجاوز عنهم التفريط والسهو والنسيان والخطأ وما استكرهوا عليه وما حدثوا به أنفسهم رحمة بهم وبضعفهم سبحانه وتعالى عما يصفون .

علم جهلهم به وبعِظم حقه فعذرهم وتجاوز عنهم، عملوا له القليل فقبله منهم تقربوا إليه باليسير فرضي به عنهم ولم يحمِّلهم ما لا طاقة لهم به ولم يكلفهم إلا ما كان في الوسع سبحانه وتعالى عما يصفون .

إن احتاجوا طلبوه وإن خافوا دعوه وإن مرضوا استشفوه وإن منعوا القطر استسقوه وإن أمنوا عقابه عصوه وإن غفلوا عن حقه كفروا به سبحانه وتعالى عما يصفون .

يجترئون عليه بالقول الباطل المشين أكثر مما يجترئون على عباده سبحانه ويستحيون من الخلق أكثر مما يستحيون منه عز وجل يستخفون بالمعاصي من غيره ولا يستخفون منه جلت عظمته وهو معهم أينما كانوا سبحانه وتعالى عما يصفون .

إن حرمهم كفروا وإن أعطاهم فسقوا وأن وسَّع عليهم بطروا وإن قتر عليهم ضجروا وإن عافاهم فجروا وإن أمرضهم جزعوا سبحانه وتعالى عما يصفون . جهلوا قدره وقدرته سبحانه وتعالى وراحوا :

- ينسبون الأشياء إلى غير خالقها .
- والأفعال إلى غير فاعلها .
- والأقدار إلى غير مقدرها .

- والقوة إلى غير ممدها .
- والأرواح إلى غير موجدها .
- والأجساد إلى غير مقومها .
- نسوا أن الله سبحانه هو الذي خلق فسوى .
- وهو الذي قدر فهدى .
- وهو الذي منع وأعطى .
- وهو الذي أطعم وأسقى .
- وهو الذي أضحك وأبكى .
- وهو الذي يعلم السر وأخفى .
- وهو الذي قدر وقضى .
- وهو الذي لا يجرى في ملكه إلا ما أراد وأجرى .
- وهو الذي يحول بين المرء وقلبه في كل ما أضمر ونوا .
- وهو الذي أحصى كل خلقه حتى حبات الرمال والحصى .
- وهو الذي بيده أمر كل شيء .
- وهو الذي يحوط خلقه بحفظه ولطفه في الليل والنهار والعشي والضحى . والخلق عن كل ذلك في غفلة ساهون وفي تساهل متكاسلون وفي ضياع تائهون، يعتقدون أن العَرَض الذي في أيديهم مما مكنهم الله تعالى إياه هو الفاعل .
- يأكلون ويعتقدون أن الأكل هو الذي يشبعهم .

وغاب عنهم أن الله تعالى هو الذي يعطم ويسقي، فكم من آكل لا يشبع وكم من جائع أطعمه المولى سبحانه كما أطعم نبيه الكريم، وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إني لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقين**)[متفق عليه] . فيا ترى

كيف يكون ذلك ! وما هو نوع الطعام والشراب الذي أمدّ به الجليل عبده المصطفى ورسوله المجتبى ﷺ .

– يشربون ويظنون أن الماء هو الذي يرويهم . وغاب عنهم أن الله سبحانه هو الذي يروي من الظمأ، وفي قصة الصحابية أم شريك رضي الله تعالى عنها لما عذبها قومها في الصحراء فلم يطعموها ولم يسقوها، فسقاها الله تعالى[1].

– يركنون على ما في أيديهم من خَوَل وعَرَض . وغاب عنهم أن كل ما يرون من حولهم هو ملك لله جل جلاله بل إنه عز وجل يملك ما ظهر وما بطن يملك الروح والجسد يملك القرار والنية التي يعتقد الإنسان أنها ملك له، وفي محكم التنزيل قوله جلت عظمته : ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴿٢٤﴾﴾ .

– يأمنون على أنفسهم من الأقدار والأغيار . وغاب عنهم أن القوة والأمر كله لله تعالى يصرف ملكه كيف يشاء فهو المعطي المانع القابض الباسط الضار النافع .

---

[1] والقصة كما رواها ابن الأثير في أسد الغابة، ج٧، ص٤١٢ : في ترجمة أم شريك ابنة جابر، أنها قالت : (أسلم أبو العكر وهاجر إلى رسول الله ﷺ فجاءني أهله، فقالوا : لعلك على دينه ؟ فقالوا : لا جرم ليجزينك الله تعالى . قالت : فرحلوا فحملوني على جمل ثفال، لا يطعموني ولا يسقوني، وإذا انتصف النهار نزلوا في أخبيتهم، وطرحوني في الشمس، حتى ذهب عقلي وسمعي وبصري . فلما كان اليوم الثالث عند انتصاف النهار، وجدت برد دلو على صدري، فأخذته فشربت منه نفساً، ثم انتزع مني فنظرت فإذا هو بين السماء والأرض، ثم دنا مني ثانية فشربت منه نفساً ثم رفع، ثم دنا مني ثالثة فشربت حتى رويت، وأهرقت على رأسي ووجهي وثيابي، قالت : فنظروا فقالوا : من أين لك هذا يا عدوة الله ؟ قالت : قلت : رزقني الله تعالى . قالت : فانطلقوا سراعاً إلى قربهم فوجدوها مربوطة، فقالوا : نشهد أن الذي رزقك هو الذي شرع الإسلام، فأسلموا وهاجروا إلى رسول الله ﷺ) . وجمل ثفال أي لا متاع عليه، والأخبية جمع خباء كالخيمة .

– يعتقدون أن الدنيا تسير وفق قوانين بوجه رتيب . وجهلوا أن الله تعالى هو الذي أوجدها وقننها على ما أراد ومتى شاء عطل القوانين سبحانه :

كما عطل جلت قدرته قانون النار من الحرارة والإحراق . ففي قصة خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما ألقي في النار لم تحرق النار إلا رباط يديه فقط، فمن الذي عطل النار عن مباشرة وظيفتها الأساس في الحياة وهي الإحراق ! ومن الذي أمرها أن تحرق شيئاً محدداً فقط لا تتجاوزه أبداً ! بل من الذي جعلها برداً وسلاماً على خليله عليه السلام خلاف عادتها وقانونها في الدنيا !

وعطل قانون الماء من الإنسيابية والجريان . ففي قصة كليم الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام حين عبوره البحر ببني إسرائيل، أمر الله سبحانه البحر فكان كالطود أي الجبل العظيم ويبست أرضه فعبر النبي بقومه ! فمن الذي جعل البحر جبلاً متحركاً . من الذي عطل قانونه من الجريان والإنسيابية !

وعطل قانون دوران الشمس وأوقفها في الأفق لا تتحرك ! ففي قصة نبي الله تعالى يوشع عليه الصلاة والسلام حين قاتل أعداءه فأمسك الله تعالى الشمس عليه حتى صلوا وفتح الله تعالى له ونصره ! فمن الذي أوقفها لعبده وعطل قانون المسارات الفلكية[1].

وعطل جلت قدرته سائر قوانين الدنيا متى شاء وكيفما شاء، ليعلم الإنسان وكل مخلوق أن قدرة الله سبحانه مطلقة لا حد لها، وأن رب الكون خلقه ودبّره وصرّفه ولا يزال، لم يتركه عبثاً ولا هملاً :

[1] وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن الشمس لم تحبس على بشر الا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس**)[رواه أحمد وابن عساكر في تاريخه . وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة] .

– فالأرض تسقى بماء واحد . ويفضل بعضها على بعض في الأكل .

– والأزواج تتناكح . وهذا ينجب وذاك لا ينجب .

– والسماء تتلبد بالغيوم وتتوافر كل أسباب المطر . فينقشع السحاب ولا مطر .

– ويسعى المرء لتحصيل رزقه فلا يجد شيئاً، وآخر يأتيه رزقه من غير سعي .

– وفي كل شؤون الحياة يبذل الإنسان كل الأسباب ليحقق مراده فيها فلا يوفق لشيء، ورب آخر لم يبذل شيئاً منها ومع ذلك يوفق لتحقيق ما يرجوه .

ورغم كل ذلك ! فمن البشر من أنكر ربوبيته عز وجل وأنه الخالق الرازق المدبر وزعم أن للكون خالقاً آخر ومدبراً ومصرفاً غير الله عز وجل، ونسب الفعل إلى الطبيعة وإلى العدالة والى الوجود المطلق وما إلى ذلك من إدعاءات .

– ومن البشر من أنكر ألوهيته وأحقيته بالعبادة عز وجل وراح يعبد صنماً أو حجراً أو شجراً أو شمساً أو قمراً .

– ومن البشر من ادعى ما لله تعالى من قدرة وتدبير لغير الله عز وجل، وادعى ما لغير الله سبحانه من ولد وشبيه ومثيل فادّعاه لله تعالى، تطاولاً وجهلاً وزوراً وبهتاناً وسوء أدب معه جلت عظمته .

– ومن البشر من غيّر معالم دين الله عز وجل وبدل حكمه وتعاليم شرعه ولم يرض بمنهجه، ورضي واحتكم لقوانين هي من وضع أمثاله من البشر الضعفاء القاصرون .

– ومن البشر من سبَّه جل جلاله وشتمه وتطاول على ذاته العلية فقال في حقه ما لا يليق به عز وجل .

– ومن البشر من ظن أن الدنيا خلقت هباء لا طائل من ورائه واعتقد أن السموات والأرض خلقت لعباً ولهواً وعبثاً مجرداً وأنه لا حساب ولا عقاب وبعث ولا نشور بعد ذلك أبداً .

– ومن البشر من لم يعظمه حق التعظيم فاستخف بأمور الدين وأضاعها بل وربما راح يهتم بقوانين البشر أكثر من اهتمامه بشرع ربه عز وجل .

– ومن البشر من حلف بالله سبحانه كاذباً لأنه ما قدر الله عز وجل حق قدره ولا عظمه حق التعظيم .

– ومن البشر من استحى من البشر ولم يستحِ من الله عز وجل فانكب على المعاصي والآثام فعصى ربه جل جلاله جهاراً نهاراً علانية لا سراً ولم يبالِ بشيء ولم يخش عقابه ولا أليم عذابه ولا سطوة انتقامه .

– ومن البشر من استمرأ المعاصي فصار يعصي الله عز وجل وكأنه ما عصاه طُبع على قلبه والعياذ بالله تعالى .

– ومن البشر من تكلم في رزق الله تعالى فسخط على قَسَمه سبحانه ونقم على عطائه وتدبيره جل جلاله، وكأنه يحاسب ربه عز وجل في عطائه لخلقه .

– ومن البشر من عصى الله تعالى بكل قحة وجُرأة ثم هو يريد الجنة بغير عمل صالح اتخذه سبيلاً ووسيلة بين يدي ربه عز وجل .

– ومن البشر من فرّط في الأعمال الصالحات فأداها كما يريد هو لا كما يريد ربنا جل في علاه فعبد الله بالبدع والضلالات والأباطيل والشركيات والمنكرات وابتغى منهجاً من عند نفسه لا يوافق الشرع المطهَّر ثم هو يريد أن يُعد من الصالحين وكأنه يمنُّ بعبادته تلك على الله سبحانه وتعالى .

– ومن البشر من آمن به وصدق لكنه لم يقم بحقه عز وجل حق القيام كما ينبغي .

– ومن البشر من قد يعبد الله سبحانه وتعالى كما أمر جل ربنا في علا لكن المسكين راح يستكثر عمله ذاك ويظن أنه على شيء .

– ومن البشر من اعترض على القضاء والقدر[1]؛ فصار يكذِّب ويشكِّك ويتشكى ويسيء الأدب مع ربه عز وجل في كل ما يجري عليه . ومن البشر ومن البشر ...

ذلك هو الإنسان :

الذي قال الله تعالى فيه : ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ ﴾[النحل] . وقال فيه : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾[الكهف] . وقال فيه : ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ ﴾[مريم] . وقال فيه : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ ﴾[يس] . وقال فيه : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ ﴾[المعارج] . وقال فيه : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ ﴾[الدهر] . وقال فيه : ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾[عبس] . ذلك هو الإنسان الذي خلق من ماء مهين ثم صار خصيم مبين، ظاهر الخصومة مُبينها لربه عز وجل .

– كيف خلق وأُوجد في بطن أمه قال تعالى : ﴿ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾[عبس] . أي خلقه من نطفة وهي قطرة مني قُذفت في الرحم فتكونت وصارت

[1] كتب الله سبحانه وتعالى القدر لأنه عَلِم، ولم يكتبه عز وجل ليلزم به . وحتى نفهم أكثر فالصفات نوعان : صفة انكشاف وإبراز، وصفة تأثير . والعلم صفة انكشاف لا صفة تأثير، أي أنه سبحانه كتب القدر لأنه يعلم كل شيء وكيف سيكون مستقبله، سبحانه لا تخفى عليه خافية .

لذا فكتابة القدر تعتبر من باب سبق علم الله تعالى بحال خلقه وليس قهراً منه عز وجل لهم، فهو سبحانه كتب عن علم بما سيكون لا عن قهر وجبر .

قطعة لحم قال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾[1] [القيامة] . فما أجرأك يا ابن آدم وهذه هي بدايتك .

– ثم كيف تخلَّق في بطن أمه حالاً بعد حال قال تعالى : ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴿٦﴾ ﴾ [الزمر] . وقد أثبت الطب والعلم الحديث ذلك فقال في الظلمات الثلاث هي مراحل (النطفة والعلقة والمضغة) لا يُعرف عن الجنين فيها أي شيء، فما أجرأك يا ابن آدم وهذا هو بعض تخلُقك !

– ثم كيف خرج من بطنها قال تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ﴾[عبس] . أي يسَّر جل جلاله خروجه من بطن أمه من مخرج ضيق لا يمكن خروجه منه بشكل معتاد، ولكنها قدرة الله تعالى الذي يسَّر ذلك سبحانه وتعالى عما يصفون . فما أجرأك يا ابن آدم خرجت من ضيق بطن أمك إلى سعة الدنيا ومنها عن قريب إلى ضيق القبر !

– ثم كيف كان حاله في صغره وهو ضعيف هزيل فأمده الله تعالى بالجوارح والأعضاء ليستخدمها فيما يرضيه عز وجل قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[النحل] . جعل له حواساً يدرك بها، سمعاً يسمع به وبصراً يبصر به وقلباً يميز به فاستخدمها واستعملها فيما يغضب الله سبحانه وتعالى . فما أجرأك يا ابن آدم تستعين بالنعم على المعاصي !

– لا يستطيع دفع الضر عن نفسه ولو وقع عليه الذباب ما استطاع دفعه عن وجهه . فما أجرأك يا ابن آدم وهذا هو هوانك !

---

[1] قال علماء الأحياء : أن مقدار نصف أنملة من إصبع الإنسان من قذفة منيه، فيها من عدد الحيوانات المنوية ما يساوى أعداد العالم كله . فسبحان الله وتعالى عما يصفون .

– ما كان يستطيع الوقوف على رجليه لضعفه . فما أجرأك يا ابن آدم وهذا هو ضعفك !

– ولا كان يستطيع أن يمسك بوله فيبول ويتغوَّط على نفسه . فما أجرأك يا ابن آدم وهذه هي قذارتك !

– يحتاج لمن يؤكله ويشربه ويرعاه . فما أجرأك يا ابن آدم وهذا بعض شأنك !

– يدنو منه الجميع يقبلونه ويلاعبونه لضعف حاله تبدو عليه براءة الأطفال . فما أجرأك يا ابن آدم وهذا بعض حالك !

– ماذا لك يا ابن آدم وأنت من خلق الله تعالى، وتأكل وتشرب من ملك الله سبحانه، والأرض التي تمشي عليها هي مملوكة لله جل شأنه، والمال الذي في يديك هو من تخويل الله جل جلاله، وكل ما ترى وتسمع هو من خلق الله تعالى، فماذا لك حتى تتكبر وتطبر !

– ما الذي جعلك تتكبر يا ابن آدم وأنت آخر خلق الله تعالى وجوداً، فالأرض والسماء خلقت قبلك والماء والهواء والجماد والنبات والبهائم والزرع والشجر والنجم والحجر كل ذلك وُجِد قبلك فطرأت أنت عليه، ووجدت كل شيء أمامك ليخدمك، فبدلاً من شكر الله سبحانه وتعالى الخلاق العليم الوهاب الحليم على ذلك ذهبت تخدم بعض خلق الله جلت عظمته، وهو دونك رتبة، وتركت الخالق العظيم عز وجل شأنه وتعالى وتقدس اسمه !

– ما الذي جعلك تستنكف عن عبادة ربك وهو قد خلقك ورزقك ووهبك وكرَّمك ونهاك أن تنذل لغيره وتسجد لسواه فأنِفْت من ذلك وذهبت لتنحني لمخلوق أو لجماد أو لمجهول، هو دونك رتبة في الخلق !

– هذا هو الإنسان خرج من بطن أمه هزيلاً ضعيفاً فوجد حضناً يحتضنه وثدياً يغذيه وكائناً يرعاه ويحنو عليه ورباً يحميه ويحفظه سبحانه وتعالى عما يصفون .

فلما كَبُر واستوى واشتد عوده واستقام صلبه صار يكذب ويُعرض ويعترض ويجادل ويُشكك ويتطاول ويتجرأ ويطغى ويكفر ويفجر ويفسد ويفسق ويظلم ويريد أن يغيِّر الكون من حوله إن استطاع فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وسبحانه وتعالى عما يصفون .

– ولو شاء الله تعالى لحجز في بطنه البول أو الغائط وجعله يتلوّى من شدة الألم سبحانه وتعالى عما يصفون . فما أجرأك يا ابن آدم وأقسى قلبك .

– ولو شاء سبحانه لسلط عليه عرقاً في جسمه يضطرب عليه ليريه أنواع الألم سبحانه وتعالى عما يصفون . فما أجرأك يا ابن آدم وأغفل ضميرك .

– ولو شاء سبحانه لأمر أصغر جزيء في بدنه فأعطبه وسلطه عليه فانتقض جسمه مريضاً سقيماً لا يجد راحة ولا يذوق لذة سبحانه وتعالى عما يصفون . فما أجرأك يا ابن آدم وأجهل عقلك .

ولكن الله جلت قدرته وتعالى قدره وعز سلطانه وتنزهت ذاته وتناهت صفاته وعَظُم شأنه وجلت عظمته وتبارك وتعالى وتقدس وتعاظم سبحانه وتعالى يحلم عن العباد فيصبر على الكافر وهو يعاديه بكفره مدى عمره وهو في قبضته، ويستر العاصي وهو يجاهر بمعاصيه سنين طويلة وهو تحت نظره، كل ذلك لعلهم يسلمون أو يتوبون أو يؤوبون أو يستغفرون أو ينيبون فإن لم يكن ذلك، مدَّ لهم أسباب النعيم والعطاء استدراجاً وإمهالاً وكيداً ومكراً ليزدادوا ظلماً وعتواً وعدواناً وطغياناً فيزيدهم عذاباً شديداً أليماً عظيماً جزاء تعديهم وتماديهم رغم طول الإمهال والمنّ عليهم بالنعم في كل الأحوال مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ

كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[الأنعام] .

ثم هو عز وجل إذا أخذ العبد الفاسق عن حكمه الخارج عن منهجه أخذه أخذ عزيز مقتدر قوي منتقم مصداقاً لقوله ﷺ : (**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته** ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾)[متفق عليه] .

هذا هو الإنسان الذي يتعامى ويتغافل عن عِظم خالق هذا الكون الفسيح الدال على قدرة خالقه ومدبره ومصرفه وهو ولا شك أعظم . تعامى عن الحق الذي لا مرية فيه أو لم يتفكر :

- من الذي أوجد الكون الفسيح وأبدعه بهذا الشكل ودبره وصرفه ولا يزال كذلك .
- من الذي رفع السماء بلا عمد وزيّنها بالنجوم والكواكب ولا يزال .
- من الذي جعل الشمس والقمر نوراً وضياءاً وحسباناً للخلق ولا يزال .
- من الذي أجرى السحاب وجعله ركاماً فأنزل منه الماء حيث شاء رحمة بالخلق ولا يزال .
- من الذي بسط الأرض ومدها وقدّر فيها أقواتها وذللها للخلق ولا يزال .
- من الذي جعل الليل والنهار خلفةً يخلف أحدهما الآخر هذا للعمل والسعي وذاك للنوم والراحة ولا يزال .
- من الذي أخرج من الأرض نباتها وخيراتها وكنوزها ولا يزال .
- من الذي خضع له كل الكون بما فيه ولهج ونطق باسمه انقياداً وتسبيحاً وحمداً ولا يزال .

– من الذي خلق الخلق من العدم وأمدهم بعموم النعم ولا يزال .

– من الذي أجرى الأنهار وأخرج الماء العذب من ذرات بخار البحار المالحة وجعل بين البحرين حاجزاً ولا يزال[1].

– من الذي سيَّر الكون بكل ما فيه على نظام محكم ونسق متكامل لا يحيد عنه بتدبير وتسيير وتسخير وتصريف لا يتغير ولا يتبدل إلا ما كان من شأن الثقلين المكلفَين من إنس وجن ولا يزال .

– من الذي دلنا على وجوده بآياته وآثاره وعلامات قدرته وظواهر إعجازه في الكون ولا يزال .

– من الذي فطر القلوب وأوجد فيها ميزان الخير والشر والحق والباطل والفضائل والرذائل ولا يزال .

– من الذي جعل عبادتنا له خيراً لنا لا له وهو غني عنا أبداً ولو كان الكل على قلب أتقى رجل منا ولا يزال .

– من الذي قوّم جسم الإنسان وجعل فيه من عجائب القدرة ما لا يمكن حصره وجعل له هيئة حسنة وخلقة سوية قويمة ولا يزال .

---

[1] من حكمة الله تعالى أنه جعل مساحة البحار أضعاف مساحة اليابسة وذلك لأنها مخازن الماء العذب . وهذا من عظمة إعجازه عز وجل . فماء البحار المالحة جعل الله تعالى فيه من مواد وعناصر تحافظ عليه من التعفن والفساد .

ومتى أراد الله سبحانه أن ينزل المطر سلط حرارة الشمس على البحار المالحة فيتبخر الماء ويصعد ذلك البخار إلى السماء وهناك وعند درجة حرارة منخفضة يتكثف بخار الماء فينزل على هيئة قطرات المطر العذب . فسبحان من أخرج الماء العذب الزلال من ثنايا الملح الأجاج .

– من الذي ذلل الحيوان وعموم الأنعام للإنسان لينتفع بها ويمتطيها ويأكل ويشرب منها ولا يزال .

– من الذي ألهم الإنسان رشده وبين له كل ما ينفعه في حياته ودله عليه وأرشده ولا يزال .

– من الذي كل الخلق يأكل ويشرب من خيره ويصول ويجول في أرضه بعلمه وحُكمه ورحمته وإذنه ولا يزال .

– من الذي جعل الإنسان خليفته في الأرض وملّكه قدرة التغيير فيها والتكيف بحسب الزمان والمكان والمواقف والأحوال ولا يزال .

– من الذي لا يمنع خيره عن خلقه وإن كفروا أو فجروا وفسقوا بل يحلم عنهم ويستر عليهم ولا يزال .

– من الذي إذا دعاه الناس وطلبوه ولجئوا إليه خذلهم ولم يجبهم ما دموا في معيته وهو غنيٌ عنهم ولا يزال .

– من الذي يعصيه العاصي على مرأى منه ومسمع يراه ويسمعه وهو عليه قادر وقدير ولو شاء لأخذه بذنبه أخذ عزيز مقتدر لكنه سبحانه يستر عليه ويغفر له ولا يزال .

سبحانه وتعالى عليٌّ مقامه ورفيع شأنه، وفي محكم التنزيل قوله جل في علاه : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾[النازعات] . لاحظ دلالة الآية الخوف من مقامه، قبل أن يكون الخوف منه سبحانه وتعالى .

فمقامه العلي الأعلى يستوجب الخوف منه على وجه الحقيقة . قال القشيري في تفسيره : " إقبال الله عليه وأنّه راء له.. وهذا عين المراقبة، والآخر محلّ المحاسبة"[1].

[1] القشيري . لطائف المعارف . ج٣، ص٦٨٥ .

- وقال حِقي في تفسيره : "من خاف مقام ربه بالترقي إلى مقام القلب ومشاهدة قيوميته تعالى"[1].

- وقالت بنت الشاطئ في تفسيره : "مقام ربه، إيحاء بأن الخائف يراقب ربه في كل عمله ومسعاه، عن يقين بأنه واقف بين يدى الله، ماثل في مقامه تعالى"[2].

- وقال طنطاوي : "مقام ربه : أى : خاف عظمته وجلاله، وسلح نفسه بالإيمان والعمل الصالح استعدادا لهذا اليوم الذي يجازى فيه كل إنسان بما يستحقه"[3].

يا خالق الأكوان سبحانك اللهم ... من مبدع علام أبدعت هذا الكون
سل السهل والوادي سل الورد والكادي ... والنورس الشادي من ذا إله الكون
سل الوَتَدَ والأكمة والظَرِبَ[4] والهضبة ... سل شاهقات البيد من ذا إله الكون
سل وعرة التلال سل كثبان الرمال ... سل صُفرة الصحراء من ذا إله الكون
سل البحر سل النهر سل الكوثر الجاري ... سل العين والينبوع من ذا إله الكون
سل زُرقة الشُطآن سل مجمع البحران ... سل سلسبيل الماء من ذا إله الكون
سل لجة اليم سل الفلك في البحر ... من مجري الأفلاك من ذا إله الكون
سل الليل والظلمات سل النور والقسمات ... سل فلقة الإصباح من ذا إله الكون
سل بَرقَة الوَدَق سل حُمرة الشفق ... سل غُبشَة الغسق من ذا إله الكون
سل الطير والحيوان سل الجن والإنسان ... من مبدع الأكوان من ذا إله الكون

---

[1] إسماعيل حقي . روح البيان . ج١٠، ص٣٢٨ .

[2] عائشة عبدالرحمن . التفسير البياني . ج١، ص١٥٧ .

[3] طنطاوي . التفسير الوسيط . ج١٥، ص٢٧٧ .

[4] الظرب هو المرتفع من الأرض، والأكلمة الجبل الصغير .

سل النمل سل النحل سل دودة القز ... سل سِرب اليعاسيب من ذا إله الكون
في الأرض آيات نفح ونسمات ... ريح وهَفَوات من ذا إله الكون
في البرج والنجم والنور والظُلَم ... في لمحة البصر من ذا إله الكون
في الحب والنوى في الزرع والفضا ... في منطق الأغصان من ذا إله الكون
في بهجة الأزهار في لونها النوار ... في شذوها المعطار من ذا إله الكون
في قطرة الأمطار في غيثها المدرار ... في سيلها الجرار من ذا إله الكون
من مرشد الإنسان من هادي الحيران ... من ضيعة التوهان من ذا إله الكون
من عالم السرائر من كاشف الضمائر ... من للقلوب فاطر من ذا إله الكون
من منشئ الربائب من جامع السحائب ... من مجري الرغائب من ذا إله الكون
من جاعل القمران بالضوء والنوران ... للخلق كالحُسبان من ذا إله الكون
من بارئ الأنسام من مرشد الأحلام ... من سخر الأنعام من ذا إله الكون
من واضع الخضراء من رافع الغبراء ... من مقسط الميزان من ذا إله الكون
من واهب النعم من دافع النقم ... من مبرئ السقم من ذا إله الكون
وتقلب الدهر وتصرم العمر ... وتصرف الحدثان من ذا إله الكون
ومرارة العلقم وحلاوة البلسم ... من جامع الأضداد من ذا إله الكون
والموت والحيا والمرض والشفا ... والفقر والغنى من ذا إله الكون
والأمل والبلى والسخط والرضا ... والقدر والقضا من ذا إله الكون
ذاكم هو الله ذاكم هو العلام ... ذاكم هو البارئ ذاكم إله الكون
ذاكم هو الخلاق ذاكم هو الرزاق ... ذاكم هو الوهاب ذاكم إله الكون
ذاكم هو القدوس ذاكم هو المتعال ... ذاكم هو الوالي ذاكم إله الكون
ذاكم هو الواجد ذاكم هو الماجد ... ذاكم هو القادر سبحان رب الكون

كل ذلك وغيره أوجب علينا أن نُعَظِّم الله تعالى حق التعظيم ونقدِّره حق قدره ومتى عصاه العاصي لجهلٍ أو لغفلةٍ أو لتغلب شهوةٍ أو لتلبس شبهةٍ وجب عليه أن يعود إلى الله سبحانه وتعالى سريعاً قبل فجأة المنية وهجوم الموت عليه وذهاب فرص التدارك والإنابة .

– ابن آدم عَظِّم الله تعالى الذي خلقك من عدم .

– عَظِّم الله تعالى الذي رزقك من عُدم .

– عَظِّم الله تعالى الذي أعطاك بلا استحقاق، وإلا لما استحققت شيئاً .

– عَظِّم الله تعالى الذي لم يعلّق عطاء النعم على قدر العمل .

– عَظِّم الله تعالى الذي عافاك ولا مُكرِه له .

– عَظِّم الله تعالى الذي أمدك بعموم النعم تفضلاً منه عليك .

– عَظِّم الله تعالى الذي نجاك من البلاء وعافاك أكثر مما ابتلاك رحمة منه .

– عَظِّم الله تعالى الذي ستر عيوبك عن الخلق إحساناً بك وبهم .

– عَظِّم الله تعالى الذي كشف عنك الكروب وأزال السوء لطفاً بك .

– عَظِّم الله تعالى الذي شرع لك التوبة رحمة منه بك وبالآخرين من حولك حتى لا يشقوا بشقائك .

– عَظِّم الله تعالى الذي لا يأخذك من أول خطيئة وذنب وإثم بل يمهلك لوقت التوبة والتدارك .

– عَظِّم الله تعالى الذي يغفر ذنوبك متى استغفرت بل ويبدل سيئاتك إلى حسنات .

– عَظِّم الله تعالى الذي أمرك بعبادته على قدر ضعفك في الدنيا ثم هو سبحانه وتعالى يجزيك على قدر عظمته وقدره وقدرته بنعم في الدنيا ثم بنعيم في الآخرة لا يحول ولا يزول .

– عَظِّم الله تعالى الذي لولاه لم تك شيئاً ولن تكون شيئاً ولا تزال نعمه عليك .
– عَظِّم الله تعالى الذي له غاية صفات الكمال والجمال والجلال سبحانه وتعالى عما يصفون .

أما كمال الجليل الخالق العظيم :

فلأنه القائم بشؤون عباده القيوم على تدبير وتصريف أحوالهم ينامون ولا تنام عينه ولا تأخذه أدنى سِنة أي نعاس بل يظل يحرسهم بعينه التي لا تنام وبركنه الذي لا يضام وهو عليهم حافظ وحفيظ .

الكمال الذي هو على عرشه استوى .

الكمال الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ولو شاء سبحانه وتعالى لخلقها بكلمة كن فتكون .

الكمال الذي عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو سبحانه .

الكمال الذي لا يشغله شأن عن شأن .

الكمال الذي خلق السموات والأرض ليُعبد لا ليعبث .

الكمال الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وهو سبحانه ليس بحاجة لذلك .

الكمال الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .

الكمال الذي هو مطلع على عباده لا يغفل عنه من أمورهم شيء .

الكمال الذي لا يجري في ملكه شيء إلا بعلمه وإذنه وحكمه وقدرته .

الكمال الذي خلق الكون وأبدعه وصرَّفه ودبَّره فما أروعه .

الكمال الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم فجعله كامل الأوصاف سوي الخِلقة .

الكمال الذي خلق الخلق ليعطيهم لا ليأخذ منهم .

الكمال الذي هو غني عن الخلق أجمعين والخلق كل الخلق محتاج وفقير ومفتقرٌ له ولفضله ولنعمه سبحانه .

الكمال الذي نسق الكون فلا أحسن من ذلك ولا أبدع .

الكمال الذي جعل الليل لباساً وسكناً للنوم والراحة وجعل النهار معاشاً وضياءاً لتحصيل المعاش والسعي في الأرض .

الكمال الذي خلق الذكر والأنثى ليتكاملان ويتعاضدان لا ليتعارضان، وجعل لكلٍ منهما دور في الحياة لا يتجاوزه .

الكمال الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً .

الكمال الذي جعل الشمس والقمر ضياءاً ونوراً وحسباناً .

الكمال الذي بسط الأرض وذللها للخلق .

الكمال الذي هيأ لخلقه سبل الإقامة في دار لا مقامة فيها ولا دوام .

الكمال الذي أرانا في كونه جوانب القدرة والعظمة والقوة والقهر ثم هو سبحانه يتعامل مع خلقه برأفة ورحمة وستر وتودد .

الكمال الذي قدر قدراً كونياً فلا أحسن من ذلك ولا أفضل .

الكمال الذي قدر قدراً شرعياً مطهراً فلا أيسر للخلق منه ولا أصلح ولا أنفع .

الكمال الذي لا يأنف من كثرة السؤال والطلب بل إنه عز وجل جعل كثرة الدعاء والسؤال قربة منه وله .

الكمال الذي استغنى بذاته عن كل أحد .

الكمال الذي كل شيء منه وُجد .

الكمال الذي يطلبه الكل ويدعونه في آن واحد فلا يضجر ولا يمل ولا يشغله شأن عن شأن أبداً .

الكمال الذي قال عن نفسه سبحانه في الحديث القدسي : (**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك من ملكي شيئاً إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل في البحر**)[البخاري] . الكمال الذي جعل الدنيا إلى فناء ولا إله غيره ولا باقٍ إلا وجهه فلا يجب أن ننشغل بها عنه سبحانه وتعالى عما يصفون .

دار الدنيا :

التي قال عز وجل فيها : ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾[آل عمران] . وقال فيها عظمت قدرته : ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[الأنعام] . وقال فيها جل شأنه : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[يونس] . وقال فيها جل جلاله : ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[الرعد] . وقال فيها سبحانه : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾[الكهف] . وقال فيها جل وعز : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ ﴿٦٤﴾ ﴾[العنكبوت] . وقال فيها جلت عظمته : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ ﴿٢٠﴾ ﴾[الحديد] .

الدنيا التي قال فيها ﷺ : (**ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه هذا في اليم فلينظر بم ترجع**، وأشار بالسبابة)[مسلم] .

الدنيا التي قال فيها ﷺ حين مر بجدي أَسَكّ ميت (الأسك صغير الأذنين) فقال : (**فالله؛ لَلَدنيا أهون على الله من هذا عليكم**)[مسلم] .

الدنيا التي قال فيها ﷺ لما مر بسخلة (شاة) ميتة فقال : (**أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها**، قالوا : من هوانها ألقوها يا رسول الله، قال : **فالدنيا أهون على الله من هذه على أهلها**)[الترمذي وابن ماجة] .

وفي رواية عند الحاكم والطبراني في الكبير وغيرهما : (مر رسول الله ﷺ بذي الحليفة فرأى شاة شائلة برجلها، فقال : **أترون هذه الشاة هينة على صاحبها**، قالوا : نعم يا رسول الله، قال : **والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه على صاحبها، ولو كانت تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقي الكافر منها شربة ماء**) .

الدنيا التي قال فيها ﷺ حين نام على حصير فقام وقد أثَّر في جنبه فقال له الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عنهم : يا رسول الله لو اتخذنا لك (أي فراشاً) فقال ﷺ : (**ما لي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت ظل شجرة ثم راح وتركها**)[الترمذي وابن ماجة وغيرهما] .

وفي رواية عند الحاكم والطبراني في الكبير وغيرهما : (**ما لي وللدنيا وما للدنيا وما لي، والذي نفسي بيده ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة ثم راح وتركها**) .

الدنيا التي قال ﷺ فيها : (**لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء**)[الترمذي والبيهقي في الشعب والألباني في الصحيحة] .

الدنيا التي قال فيها ﷺ : (**إذا أحب الله عبداً حماه من الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه الماء**)[الترمذي والحاكم والبيهقي في الشعب] .

الدنيا التي قال فيها ﷺ : (**حلوة الدنيا مرة الآخرة ومرة الدنيا حلوة الآخرة**)[أحمد والحاكم والبيهقي في الشعب والطبراني في الكبير] .

الدنيا التي قال ﷺ فيها : (... **وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا من أحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه**)[أحمد والبيهقي في الشعب] .

الدنيا التي قال ﷺ فيها : (**الدنيا سجن المؤمن وسننه فإذا خرج من الدنيا فارق السجن والسنة**)[أحمد والحاكم وأبو نعيم في الحلية][1].

الدنيا التي قال فيها ﷺ حين تجشأ عنده رجل فقال له ﷺ : (**كف عنا جشاءك فإن أكثرهم شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة**)[الترمذي والحاكم والبيهقي في الشعب والطبراني في الأوسط . والجشاء إخراج الهواء من الجوف عن طريق الفم] .

الدنيا التي قال فيها ﷺ : (**من أحب دنياه أضرّ بآخرته ومن أحب آخرته أضرّ بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى**)[الحاكم والبيهقي في الكبرى والشعب والألباني في الصحيحة] .

الدنيا التي قال ﷺ فيها حين وعظ عائشة رضي الله تعالى عنها فقال : (**يا عائشة إن أردت اللحوق بي فليكفك من الدنيا كزاد الراكب، ولا تستخلفي ثوباً حتى ترقعيه وإياك ومجالسة الأغنياء**)[الترمذي والحاكم والبيهقي في الشعب والطبراني في الأوسط] .

---

[1] والسِنة الأحداث التي تجري على الإنسان وهو كاره لها .

الدنيا التي قال ﷺ فيها : (**من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء، ومن لم يهتم للمسلمين فليس منهم**)[الحاكم والبيهقي في الشعب والطبراني في الأوسط] .

الدنيا التي قال فيها ﷺ : (**إن الله جعل الدنيا قليلاً وما بقي منها إلا القليل، كالثغب في الغدير شرب صفوه وبقي كدره**)[الحاكم والسيوطي في الصغير والألباني في الصحيحة] .

الدنيا التي قال ﷺ فيها : (**نعمت الدار الدنيا لمن تزود منها لآخرته حتى يرضي ربه، وبئست الدار لمن صدته عن آخرته وقصرت به عن رضا ربه، وإذا قال العبد : قبح الله الدنيا، قالت الدنيا : قبح الله أعصانا لربه**)[الحاكم والمتقي الهندي في الكنز والديلمي في مسنده والرامهرمزي في الأمثال] .

فهل هذه الدنيا تستحق فعلاً أن ننشغل بها عن رب العزة والجلال

أفٍ وتفٍ على الدنيا وما فيها ... إلا لدينٍ لرب الخلق باريها
وهل طابت لمخلوقٍ خواطره ... وهل حقق ما يرجو له فيها
الجم يبغي المفاتن لا يفوتها ... وما عسى يبقى والله مفنيها
يا بائعاً باقٍ بفانٍ أنت تاركه ... ستترك الفاني ولم تحرز بواقيها
كم من شريف تحسبه على خير ... وسره لؤمٌ خبيث النفس شاقيها
كم من حريص في الدنيا على حَوَلٍ ... لم يشبع النفس ولم يحقق أمانيها
فيا لخسران امرئ غرة الأمل ... ففاته الخير من الدنيا وما فيها
ولا سلامة للناس من دنيا تغرهم ... إلا بتقوى الله الرحمن حاميها
وكيف يبغي السلامة منها كل ذي بصر ... ويومه حيٌ وعن قريب سيُنعى بناعيها
يمسي صحيحاً ويصبح قد مسه سَقَم ... يوم غنيٌ ويوم فقر النفس حافيها

لا تحرصـــن علـــى زوال مشـــغلاً أبـــداً ... واحـرص علـى الجنـة لترقـى في مراقيهـا
واصـبر علـى بـلاء يـوم لـن يـدوم كـذا ... فإنمـا قـد سـلمت أكثـر مـن بلاويهـا
واشـــكر لربـــك كـــل خـــير أنـــت بـــه ... لـولا الرضـا لـذقت كـأس المـر حاسـيها
فبالصـبر والشـكر قـد يـدرك المـرء بغيتـه ... ويهـــون عليـــه ســـفى الـــدنيا وعاليهـــا
واعمـــل ليـــوم ثقيـــل أنـــت لاقيـــه ... لا عـــذر فيـــه لمـــن للـــنفس مُطغيهـــا
وأشـــغل الـــنفس في أخـــرى ســـتعمرها ... إمـــا بخـــير وإمـــا بنـــار خـــاب صـــاليها
لا دار بعـد المـوت إلا الـتي كنـت تبنيهـا ... قبـــل الممـــات فحـــاذر أن تجافيهـــا
يـا ذا الـذي يسـعى ليرضـي ربـه دومـاً ... أبشـــر بخلـــد في جنـــان أنـــت شـــاريها
مهورهـــا عمـــل وأثمانهـــا صـــالح يبقـــى ... لـيس التمـني بعجـز وأنـت مفـرط فيهـا
فطـــوبى وحُســـنى لمـــن ربحـــت تجارتـــه ... ويـــا ويـــل غفـــلان بـــارت ســـوقه فيهـــا

هذه الدنيا التي عن قريب سينقلب الكل منها إلى الله تعالى للقائه في يوم وصفه سبحانه بأوصاف كثيرة في كتابه العزيز فهو يوم الدين، ويوم الجزاء، ويوم الحساب، ويوم الحسرة، ويوم الندامة، ويوم الحشر، ويوم المنقلب، ويوم التغابن، ويوم الأزفة، ويوم المصير، ويوم المعاد، ويوم القيامة، ويوم القيام، ويوم العرض، ويوم التمني، ويوم الذلة، ويوم الوفاء، ويوم البروز، ويوم الكشف، ويوم التبدل، ويوم البكاء، ويوم الشخوص، ويوم العدل، ويوم الافتقار، ويوم الفقر، ويوم الفصل، واليوم القريب، ويوم البعث، ويوم النشور، وهو الطامة، وهو القارعة، وهو الواقعة، وهو الزلزلة، وهو الصاخة، وهو النفخة، وهو الراجفة، وهو الرادفة، وهو الزجرة، وهو الساعة، وهو الصيحة، وهو يوم الوعد، وهو يوم الوعيد، وهو يوم الصدق، وهو اليوم الآخر، وهو اليوم الثقيل، وهو اليوم العسر، وهو يوم التعارف، وهو يوم التلاق، وهو يوم المساق، وهو اليوم العظيم، وهو يوم القضاء، وهو يوم الزمر، وهو يوم الرجوع، وهو يوم الانتقام، وهو يوم الأمر،

وهو يوم الرد، وهو يوم الصف، وهو يوم الفزع، وهو يوم الخسران، وهو يوم الثبور، وهو يوم الويل، وهو يوم الفرار، وهو يوم الفتح، وهو يوم الأجل، وهو يوم الفوت، وهو يوم التساؤل، وهو يوم الموازين، وهو يوم الداعِ، وهو يوم الهمس، وهو يوم التخافت، وهو وهو وهو ...

وكل هذه الأسماء والأوصاف هي ليوم واحد فقط خوّف الله تعالى به العباد لعلهم يتفكرون ثم إلى ربهم سبحانه ومنهجه وشرعه يرجعون، يوم أهواله عظام وأحواله جِسام لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى عما يصفون .

وأما جمال البارئ البديع :

فلأنه أقام حكمه وملكه سبحانه بالعدل وهو قائم بالقسط . الجمال الذي ظهرت آيات حسنه في الكون .

الجمال الذي أرانا جوانب القدرة والعظمة بروعة وجمال في كل جنبات الكون .

الجمال الذي خلق الإنسان فجعله حسن الهيئة والمنظر في أحسن تقويم، والذي خلق الحُسن هو أروع وأحسن من الحُسن سبحانه .

الجمال الذي كرم بني آدم وحملهم في البر والبحر .

الجمال الذي تفضل على خلقه بالإحسان .

الجمال الذي سمح بالقرب منه للنيل والعطاء والرحمة والرضا .

الجمال الذي أرادنا دوماً في معيته لنأخذ خيره في الدنيا والآخرة .

الجمال الذي يلطُفُ قدره بعباده وخلقه .

الجمال الذي يعطي الخلق منّة منه دون استحقاق .

الجمال الذي يعطي الخلق أكثر مما يستحقون .

الجمال الذي لا يعطي على قدر الإيمان والعمل .

الجمال الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

الجمال الذي ستر على عباده العيوب وكشف عنهم الكروب .

الجمال الذي هو العليم الخبير ولا ينبئك مثل خبير .

الجمال الذي خلق الإنسان وعلمه البيان .

الجمال الذي جعل النوم راحة لخلقه في الليل والنهار .

الجمال الذي صرّف النفوس ودبرها لما فيه نفعها وخيرها .

الجمال الذي لا يظهر القبيح .

الجمال الذي يحلم عن العبد وهو يراه يعصيه سنين طويلة ولو شاء لأخذه وبطش به بأهون الأسباب .

الجمال الذي يستحي أن يرد الداعي إذا دعاه ورفع يديه إليه .

الجمال الذي يستحي من ذي الشيبة .

الجمال الذي متى استغفره العبد غفر له ولا يبالي .

الجمال الذي متى تاب العبد قربه منه على قدر ما كان بعيداً عنه .

الجمال الذي أمرنا بالإحسان إلى بعضنا البعض .

الجمال الذي أمر بالإحسان إلى كل شيء وفي كل شيء .

الجمال الذي يتقرب إلى العبد بأكثر مما يتقرب العبد إليه .

الجمال الذي هو بعباده لطيف خبير بر رحيم .

الجمال الذي منّ على عباده فألبسهم لباس الصحة ومتعهم بالعافية وعافاهم أكثر مما ابتلاهم .

الجمال الذي نهانا عن الفحشاء والمنكر والبغي والظلم والفسوق وسوء الخلق وعموم الرذائل والقبائح والشرور والنقائص .

الجمال الذي جعل عبادتنا له في حقيقتها نفع لنا لا له سبحانه .

الجمال الذي قال عنه ﷺ : (**إن الله جميل يحب الجمال**)[مسلم] .

الجمال الذي أعد لعباده الصالحين جنة تفوق الوصف والتصور في دار السلام وهو سبحانه الملك القدوس السلام قال فيها سبحانه : (**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**)[البخاري] . سبحانه وتعالى عما يصفون .

الجنة دار السلام :

دار التي قال سبحانه في لباس أهلها : ﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴿٣١﴾ ﴾[الكهف] . وقال فيه جلت عظمته : ﴿ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾[الحج] . وقال فيه جل شأنه : ﴿ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[الدخان] .

الجنة التي قال تعالى في طعام أهلها : ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[يس] . وقال فيه : ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[الصافات] . وقال فيه : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[فصلت] . وقال فيه : ﴿ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾[الزخرف] . وقال فيه : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[الطور] . وقال فيه : ﴿ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[الطور] . وقال فيه : ﴿ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الواقعة] . وقال فيه : ﴿ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ ﴾[الواقعة]

. وقال فيه : ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحاقة] . وقال فيه : ﴿ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾ ﴾[النبأ] .

الجنة التي قال سبحانه وتعالى في شراب أهلها : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ ﴿ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[الصافات] . وقال فيه : ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ﴾[ص] . وقال فيه : ﴿ يَتَنَـٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[الطور] . وقال فيه : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾[الواقعة] . وقال فيه : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ ﴾[الإنسان] . وقال فيه : ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾[الإنسان] . وقال فيه : ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾[الإنسان] . وقال فيه : ﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ ﴾[النبأ] .

الجنة التي قال سبحانه وتعالى في حلي أهلها : ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ﴿٣١﴾ ﴾[الكهف] . وقال فيه : ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴿٢٣﴾ ﴾[الحج] . وقال فيه : ﴿ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴿٢١﴾ ﴾[الإنسان] .

الجنة التي قال تعالى في حال أهلها : ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾[الكهف] . وقال فيه : ﴿ إِنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[يس] . وقال فيه : ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[الصافات] . وقال فيه : ﴿ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴿٢٠﴾ ﴾[الزمر] . وقال فيه : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ ﴾[الدخان] . وقال فيه : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ﴾[الذاريات] . وقال

فيه : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾﴾[الطور] . وقال فيه : ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾﴾[الواقعة] . وقال فيه : ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾[الإنسان] . وقال فيه : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾﴾[المرسلات] . وقال فيه : ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾[النبأ] .

الجنة التي قال تعالى في وصف نسائها : ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾[الصافات] . وقال فيهن : ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾﴾[ص] . وقال فيهن : ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾﴾[الدخان] . وقال فيهن : ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾[الواقعة] . وقال فيهن : ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾ . ثم وصفهن فقال : ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾[الرحمن] . وقال فيهن : ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾[الرحمن] . وقال فيها : ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾[الرحمن] . وقال فيهن : ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾[النبأ] .

الجنة التي قال تعالى في معيشة أهلها : ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾[مريم] . وقال فيها : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[السجدة] . وقال فيها : ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾[فاطر] . وقال فيها : ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾[الزخرف] . وقال فيها : ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ

﴿٢٤﴾ ﴾[الطور] . وقال فيها : ﴿ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾[الصف] . وقال فيها : ﴿ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا ﴿١١﴾ ﴾[الطلاق] . وقال فيها : ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ﴿٢٣﴾ ﴾[الحاقة] . وقال فيها : ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الإنسان] . وقال فيها : ﴿ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴿٢٩﴾ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ﴿٣١﴾ ﴾[الواقعة] . وقال فيها : ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴿١٠﴾ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ ﴿١١﴾ ﴾[الغاشية] .

الجنة التي قال فيها ﷺ : (**جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**)[متفق عليه] .

الجنة التي قال فيها ﷺ : (**أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء**)[متفق عليه] . هذه بعض صفات أهلها جعلنا الله تعالى منهم .

الجنة التي قال فيها ﷺ : (**إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمنون**)[متفق عليه] وفي لفظ مسلم : (**إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً للمؤمن فيها أهل يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً**) .

الجنة التي قال فيها ﷺ حين تذاكر الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عنهم فقالوا : الرجال أكثر في الجنة أم النساء ؟ فقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه : ألم يقل رسول الله ﷺ : (**ما في الجنة أحد إلا له زوجتان إنه ليرى مخ ساقهما من وراء سبعين حلة ما فيها عزب**)[متفق عليه] . أي ليس في الجنة أعزب .

الجنة التي قال فيها ﷺ : (**إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون**، قالوا : فما بال الطعام قال : **جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد والتكبير كما يلهمون النفس**)[مسلم] .

الجنة التي قال فيها ﷺ : (**إن أدنى أهل الجنة منزلة من يتمنى ويتمنى حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله تعالى : لك ذلك وعشرة أمثاله**)[مسلم] . فكيف بأعلاهم منزلة .

الجنة التي قال فيها ﷺ : (**إن الرجل ليتكئ في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول، ثم تأتيه امرأته فتضرب على منكبه فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة وإن أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب فتسلم عليه فيرد عليها السلام، ويسألها من أنت ؟ فتقول : أنا من المزيد، وإنه ليكون عليها سبعون حلة أدناها مثل النعمان من طوبى فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وإن عليها التيجان إن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب**)[أحمد وابن أبي داود في البعث وأبو يعلى والهيثمي في المجمع وغيرهم] . وفي الحديث الآخر قوله ﷺ : (**إن الرجل ليتكئ المتكأ مقدار أربعين سنة ما يتحول عنه ولا يمله يأتيه ما اشتهت نفسه ولذت عينه**) .

وفي رواية : (**أن الرجل يتكئ في الجنة سبعين سنة عنده من أزواجه وخدمه وما أعطاه الله من الكرامة والنعيم فإذا حانت منه نظرة فإذا أزواج له لم يكن يراهن من قبل ذلك، فيقلن : قد آن لك أن تجعل لنا منك نصيباً**)[ابن أبي الدنيا في صفة الجنة وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره للأية (٣٢) من سورة الكهف، والسيوطي في الدر في تفسيره للأية (٣١) منها] .

الجنة التي قال في بنائها ﷺ : (**لبنة ذهب ولبنة فضة وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم**)[الترمذي وابن ماجة وصححه الألباني] .

الجنة التي قال فيها ﷺ : (**إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة ومنصب له قبة من لؤلؤ وياقوت وزبرجد كما بين الجابية وصنعاء**)[الترمذي وأحمد وابن حبان والطبراني في الأوسط . والجابية قرية من قرى حوران بالشام] .

الجنة التي قال في وصف نهرها ﷺ : (**الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب والماء يجري على اللؤلؤ وماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل**)[الترمذي وابن ماجة] .

الجنة التي قال فيها ﷺ : (**إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية** ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾)[الترمذي والحاكم وغيرهما] .

وفي رواية : (**إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه، وإن أعلاهم منزلة لمن ينظر إلى الله تعالى في اليوم مرتين**)[الترمذي وأحمد والبيهقي في البعث] .

الجنة التي قال فيها ﷺ : (**يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع** قيل يا رسول الله : أو يطيق ذلك قال : **يعطى قوة مائة**)[الترمذي وابن حبان وصححه الألباني]

الجنة التي قال فيها ﷺ : (**إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير حتى يرى مُخها**)[الترمذي وابن حبان] .

الجنة التي قال فيها ﷺ : (**إن في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار بعد**)[الترمذي وأحمد وصححه الألباني] .

الجنة التي قال ﷺ في بعض أوصافها : (**إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشوياً**)[البيهقي في البعث والبزار وأبو يعلى وابن أبي الدنيا في صفة الجنة] .

الجنة التي قال فيها ﷺ : (**أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عادوا أبكاراً**)[الطبراني في الصغير والبزار] . الجنة التي قال في وصف حوضها ﷺ : (...**والذي نفسي بيده إن شرابه أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج وأطيب ريحاً من المسك وآنيته أكثر من عدد النجوم لا يشرب منه إنسان فيظمأ أبدا ولا يصرف فيروى أبداً**...)[أبو يعلى] .

الجنة التي قال فيها ﷺ كما ورد في الأثر عنه ﷺ في وصفها : (لو أن حوراء أخرجت كفها بين السماء والأرض لافتتن الخلائق بحسنها ولو أخرجت نصيفها

لكانت الشمس عند حسنه مثل الفتيلة في الشمس لا ضوء لها ولو أخرجت وجهها لأضاء حسنها ما بين السماء والأرض)[ابن أبي الدنيا] .

الجنة التي قال فيها ﷺ كما ورد في بعض الآثار عنه ﷺ في وصفها : (أرض الجنة بيضاء عرصتها صخور الكافور وقد أحاط به المسك مثل كثبان الرمل فيها أنهار مطردة فيجتمع أهل الجنة أولهم وآخرهم يتعارفون فيبعث الله عليهم ريح الرحمة فتهيج عليهم المسك فيرجع الرجل إلى زوجه وقد ازداد حسناً وطيباً فتقول : لقد خرجت من عندي وأنا بك معجبة وأنا بك الآن أشد إعجاباً)[ابن أبي الدنيا في صفة الجنة] .

الجنة التي قال فيها ﷺ كما ورد في بعض الآثار عنه ﷺ في وصفها : (إن في الجنة ملكاً لو شئت أن أسميه لسميته يصوغ لأهل الجنة الحلي منذ خلقه الله إلى يوم القيامة لو أبرز قلب منها أي سوار منها لرد شعاع الشمس كما ترد الشمس نور القمر)[ابن أبي الدنيا في صفة الجنة وذكره ابن كثير في تفسيره للأية (٢٤) من سورة الحج، والسيوطي في الدر في تفسير الآية (٣١) من سورة الكهف] .

الجنة التي ورد في كتب الآثار في وصفها : (سطع نور في الجنة فلم يبق موضع منها إلا دخل ذلك النور فيه، قيل : ما هذا ؟ قال : حوراء ضحكت في وجه زوجها)[ابن أبي الدنيا في صفة الجنة وأبو نعيم في الحلية] .

وهذه الجنة قد جعلها الله تعالى درجات ومنازل متفاوتة، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه : (الجنان سبع دار الجلال ودار السلام وجنة عدن وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة الفردوس وجنة النعيم)[1]. ولعله أراد بدار الجلال (عليين) أو هي دار المقامة والله تعالى أعلم . وقيل الجنان السبع أحدها دار السلام والثانية دار الجلال والثالثة جنة

[1] القرطبي . ج٨، ص٣٢٩ . الشوكاني . ج٢، ص٤٩٨ . من تفسير آية (٢٥) من سورة يونس .

عدن والرابعة جنة المأوى والخامسة جنة الخلد والسادسة جنة الفردوس والسابعة جنة النعيم .

- قال جلت عظمته في دار الجلال (عليين) : ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ ﴾[المطففين] . وسميت بذلك لأنها دار عالية عليّة . وقال تعالى في دار المقامة : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾[فاطر] . وسميت بذلك لأنها دار إقامة أبدية .

- وقال تعالى في دار السلام : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴿٢٥﴾ ﴾[يونس] . وسميت بذلك لأن أهلها يعيشون فيها بسلام دائم لا منغص فيه ولا له .

- وقال تعالى في عدن : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[البينة] . وسميت بذلك لأنهم يقيمون فيها أبداً، والعدن الإقامة .

- وقال تعالى في المأوى : ﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[السجدة] . وسميت بذلك لأن أهلها يأوون إليها ولهم فيها كل ما لذت أعينهم واشتهت نفوسهم .

- وقال تعالى في الخلد : ﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ ﴾[الفرقان] . وسميت بذلك لأن أهلها يخلدون فيها .

- وقال تعالى في الفردوس : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾[الكهف] . وسيمت بذلك لأنه أرضها بساتين وحدائق، والفردوس هو البستان . وجمع فردوس فراديس .

- وقال تعالى في النعيم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[يونس] . وسميت بذلك لأن أهلها في نعيم مقيم غير منقطع لا يحول ولا يزول .

هذه الجنة التي تعتبر عطاءً زائداً من الله تعالى ما كان للمسلم بلوغه مهما كان عمله لولا رحمة الله سبحانه مصداقاً لقوله عز وجل : ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾ ﴾[فصلت] .

تزينت الجنة للطالبين ... فكن يا أُخيّ من الخاطبين
وشمر تكن أحد الفائزين ... بعمل الأولياء والصالحين
وبادر بكل نفيس لها ... فيا سعد من كان في الفالحين
بقول سديد وفعل رشيد ... وقلب منيب مع الساجدين
ونق الفؤاد وخاف المعاد ... وأعدد نفسك في الميتين
وارفع يديك بعزم أكيد ... وأقبل على أرحَمَ الراحمين
نعيم مقيم بدار الخلود ... يغيب على أعقل العاقلين
شرابٌ طهورٌ والسلسبيل ... وعينٌ معين والزنجبين
ولذة خمرٍ وكأس دُهاق ... لا غول فيها ولا ينزفون

وكـــأسٍ بكـــافورَ ممزوجـــةٍ هنيئـــاً مريئـــاً للشـــاربين
ولـــبن زكـــي وعســـل صـــفى لذيـــذ ومـــاء غـــير أســـين
وأكـــواب شُـــرب قـــد وضـــعت زرابي مبثوثـــةَ للجالســـين
لحـومٌ مـن الطـير كمـا تشـتهى فواكـــه وأعنـــابَ ومـــا يـــدَّعون
وحلـــوا أســـاور مـــن فضـــة وذهـــبٍ ولؤلـــؤَ للابســـين
وســـندسُ خضـــرٍ واســـتبرق علـــيهم لبـــاس حريـــر صـــفين
وحَـــبرٌ ونـــور وخـــير كثـــير وســـرر عليهـــا متقـــابلين
وأفنـــانُ أغصـــان مدهامـــة أرائـــك عليهـــا متكئـــين
قواصـــر طـــرفٍ في خيـــامهن تتـــوق النفـــوس لحـــور عـــين
ومســـك أذفـــر حصـــباءها كمـــا لـــو كـــانوا بـــيض كنـــين
كواعـبَ أتـرابَ مـن حسـنهن ونفـــــح وروح وريـــــاحين
وأنهـــار تجـــري مـــن تحتهـــا قصـــور مشـــيدةٌ للحاضـــرين
وكثبـــان مســـك وأشـــباهها وظـــل ظليـــل مقـــام أمـــين
وطلـح نضـيد وسـدر خضـيد ومـــاء ســـكيب وبســـاتين
عطـــاءٌ كثـــير وأجـــر مديـــد فـــلا ممنـــونٌ بهـــا أو حـــزين
يحيّـــون فيهـــا ســـلام ســـلام مـــن كـــل بـــاب مستأنســـين
وأعظـــمُ خـــيرٍ فيهـــا ذرى رؤيـــة البـــارئ للعـــالمين
فـــتلكم زيـــادة مـــن ربكـــم تُســـر بهـــا أعـــين النـــاظرين
يروحـــون للقائِـــهِ جمعـــةً يزيـــدون حســـناً ويجيئـــون
قضـــاء الإلـــه خلـــودٌ بهـــا يعيشـــون بهـــا أبـــد الآبـــدين

فطـــوبي وحُســـنى لســـكانها أصـــحاب يمـــينٍ ومقـــربين
قضـــوا في رضـــا الله دنيـــاهم مهـورٌ قضـت عـبر خـالي السـنين
وصـــلي وســـلم إلـــه العبـــاد وبـــارك علـــى خـــيرة المرســـلين
والآل والصـــحب والتـــابعين وأتبـــاعهم إلى يـــوم الـــدين

وأما جلال القوي العزيز :

فلأنه ملك كل شيء قوة وقهراً . الجلال الذي له السلطان ولا سلطان لغيره .

الجلال الذي لا تصرف في ملكه إلا له سبحانه .

الجلال الذي ظهرت معالم قدرته وقهره في كل شيء .

الجلال الذي أحاط بكل شيء علماً .

الجلال الذي هو على كل شيء قدير .

الجلال الذي لا يفوته شيء في الأرض ولا في السماء .

الجلال الذي خضع له كل شيء .

الجلال الذي قهر العباد بالنوم والموت .

الجلال الذي هو معنا أينما كنا .

الجلال الذي يعلم السر وأخفى .

الجلال الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى .

الجلال الذي يمهل ولا يهمل .

الجلال الذي يقدر ولا يقدر غيره .

الجلال الذي لا يئوده حفظ العباد ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .

الجلال الذي هو من وراء كل شيء محيط .

الجلال الذي هو في كل شيء باطن عليم مطلع رقيب .

الجلال الذي وسع كرسيه السموات والأرض .

الجلال الذي رفع سبعاً شداد وبسط سبعاً مهاد وأرساها بالشاهقات الأوتاد .

الجلال الذي خوف العباد بغضبه وسخطه وشديد عقابه وأليم عذابه وهو على ذلك قادر وقدير .

الجلال الذي يعذب في الدنيا بما ظاهره الرحمة وهو من جنود العذاب .

الجلال الذي هو يدبر كونه ولا تزال يده في كل شيء ومن وراء كل شيء .

الجلال الذي يعذب ليرحم .

الجلال الذي يحرم ليُعطي .

الجلال الذي هو مالك يوم الدين .

الجلال الذي هو ذو البطش الشديد الفعال لما يريد .

الجلال الذي أنذر خلقه بيوم الحسرة حين يقضى الأمر .

الجلال الذي خوف خلقه بيوم الندامة يوم الأزفة يوم هم بارزون له عز وجل لا يخفى عليه من أمرهم شيء .

الجلال الذي له الملك سبحانه وحده لا شريك له في الأولى والآخرة ليعتبر العباد وليتعظوا ويخافوا .

الجلال الذي هو بكل شيء عليم .

الجلال الذي له مقاليد السموات والأرض .

الجلال الذي ما من دابة إلا هو آخذٌ بناصيتها .

الجلال الذي قال عن نفسه سبحانه : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ [الرحمن] .

الجلال الذي ينادي حين يموت كل الخلق فيقول حينها سبحانه وبحمده : (**أنا الملك أين ملوك الأرض أين الجبارون أين المتكبرون**)[متفق عليه] . فلا يجيبه أحد أبداً . الجلال الذي توعد بالنار وحرها وصلاها، وجعلها من جنوده ودار عذابه لمن أعرض عن ذكره وعبادته وطاعته سبحانه وتعالى عما يصفون .

النار بئس المصير :

التي قال عز وجل فيها : ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴿٨١﴾ ﴾[التوبة] . وقال فيها : ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ ﴾[إبراهيم] . وقال فيها : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ ﴾[فاطر] . وقال فيها : ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ ﴾[ص] . وقال فيها : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[الزخرف] . وقال فيها : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ ﴾[القمر] . وقال فيها : ﴿ كَلَّا ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾[المعارج] . وقال فيها : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ ﴾[المزمل] .

النار التي قال عز وجل في لباس أهلها : ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ ﴾[إبراهيم] . وقال فيه : ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ ﴾[الحج] .

النار التي قال عز وجل في طعام أهلها : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴾[الدخان] . وقال فيه : ﴿ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[الواقعة] وقال فيه : ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[الحاقة] . وقال فيه : ﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ ﴿١٣﴾ ﴾[المزمل] . وقال فيه : ﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ ﴾[الغاشية] .

النار التي قال عز وجل في شراب أهلها : ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾[إبراهيم] . وقال فيه : ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ﴿٢٩﴾ [الكهف] . وقال فيه : ﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ ﴾[ص] . وقال فيه : ﴿ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾[محمد] . وقال فيه : ﴿ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ ﴾[الواقعة] . وقال فيه جلت عظمته : ﴿ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ ﴾[الغاشية] .

النار التي قال عز وجل في حال أهلها : ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ ﴾[إبراهيم] . وقال فيه : ﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ ﴾[الحج] . وقال فيه : ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[المؤمنون] . وقال فيه : ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾[المؤمنون] . وقال فيه : ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ ﴾[الفرقان] . وقال فيه : ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴿٣٧﴾ ﴾[فاطر] . وقال فيه : ﴿ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ

ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الزمر] . وقال فيه : ﴿ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[الزخرف] . وقال فيه : ﴿ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾[الدخان] . وقال فيه جلت قدرته : ﴿ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ﴿٩﴾ ﴾[الهمزة] .

النار التي قال فيها ﷺ : (**ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزءاً من سبعين جزءاً من حر جهنم**، فقالوا : يا رسول الله إن كانت لكافية، فقال : **إنها قد فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً**)[متفق عليه] .

وفي رواية عند ابن ماجة : (**إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم لولا أنها أطفئت بالماء مرتين ما انتفعتم منها بشيء وإنها لتدعو الله أن لا يعيدها فيها**) . أي أن الله تعالى أخرج هذه النار من نار جهنم فأطفأها مرتين بالماء ليذهب شدة حرها وإلا لما استطعنا الانتفاع بها .

النار التي قال فيها ﷺ : (**لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول : قط قط وعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشىء الله لها خلقاً آخر فيسكنهم في قصور الجنة**)[متفق عليه] .

النار التي قال فيها ﷺ : (**اشتكت النار إلى ربها فقالت : يا رب أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون في الشتاء من بردها وأشد ما تجدون في الصيف من حرها**)[متفق عليه] .

النار التي قال فيها ﷺ : (**ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع**)[متفق عليه] .

النار التي قال فيها ﷺ : (**ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث**)[مسلم] .

النار التي قال فيها ﷺ : (**هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها**)[مسلم] .

النار التي قال فيها ﷺ : (**يؤتى بجهنم تقاد يوم القيامة بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك**)[مسلم] .

النار التي قال فيها ﷺ : (**يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال : يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط هل مر بك نعيم قط، فيقول : لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له : يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط، هل مر بك شدة قط، فيقول : لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط**)[مسلم] . في رواية (فيغمس في النار غمسة ...) .

النار التي قال فيها ﷺ : (**فلو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم فكيف بمن يكون طعامه**)[الترمذي والنسائي وابن ماجة] .

النار التي قال فيها ﷺ : (**أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة**)[الترمذي وابن ماجة] .

النار التي قال فيها ﷺ : (**لو أن دلواً من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا**)[الترمذي والحاكم وابن حبان] .

النار التي قال فيها ﷺ : (**يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد فاذا دنت من وجوههم شَوَت وجوههم وإذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم فيقولون : ادعوا خزنة جهنم فيدعون خزنة جهنم أن** : ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾ ﴾ **فيقولون** : ﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٥٠﴾ ﴾ **فيقولون : ادعوا مالكاً فيدعون مالكاً فيقولون** : ﴿ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ ﴿٧٧﴾ ﴾ **فيجيبهم** : ﴿ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ **فيقولون : ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون** : ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ **فيجيبهم** : ﴿ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ **فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك أخذوا في الزفير والحسرة والويل**)[الترمذي والخطيب في المشكاة] .

النار التي قال فيها ﷺ : (**يرسل البكاء على أهل النار فيبكون الدموع حتى ينقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يصير في وجوههم كهيئة الأخدود لو أرسلت فيه السفن لجرت**)[ابن ماجة وذكره الألباني في الصحيحة] .

النار التي أثر عنه في وصفها ﷺ قوله : (**جيء بها يوم القيامة مزمومة بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش**

فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا لركبتيه يقول يا رب نفسي نفسي)[ابن أبي الدنيا في صفة النار وذكره الواحدي في الوجيز والسمعاني في تفسيره والشوكاني في الفتح في تفسير الآية (٢٣) من سورة الفجر] .

النار التي أثر عنه في وصفها ﷺ قوله : (**ما خلق الله من شيء إلا وهو يسمع زفير جهنم غدوة وعشية إلا الثقلين الذين عليهم الحساب والعقاب**)[ابن أبي الشيخ في العظمة وذكره السيوطي في الدر في تفسير الآية (١٢) من سورة الفرقان] .

النار التي أثر عنه في وصفها ﷺ عند قول الله تعالى : ﴿ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ قوله ﷺ : (**إن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا ترعد فرائصه، حتى إن إبراهيم عليه السلام ليجثوا على ركبتيه ويقول : يا رب لا أسألك اليوم إلا نفسي**)[ذكره ابن أي حاتم في تفسير الآية (١٣) من سورة الفرقان، والسيوطي في الدر في تفسير الآية (١٢) منها] .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال في قوله تعالى : ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٢﴾ ﴾ قال : (من مسيرة مائة عام وذلك إذا أتي بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام يشدّ بكل زمام سبعون ألف ملك لو تركت لأتت على كل بر وفاجر، وقال في قوله تعالى : ﴿ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ تزفر زفرة لا يبقى قطرة من دمع إلا بدرت، ثم تزفر الثانية فتقطع القلوب من أماكنها وتبلغ القلوب الحناجر)[ذكره السيوطي في الدر في تفسير الآية (١٢) من سورة الفرقان، والشوكاني في تفسيره للأية (١٧) منها] .

وعن كعب رضي الله تعالى عنه قال : (إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ونزلت الملائكة صفوفاً فيقول الله لجبريل ائت بجهنم فيأتي بها تقاد بسبعين ألف زمام حتى إذا كانت من الخلائق على قدر مائة عام زفرت زفرة طارت

لها أفئدة الخلائق، ثم تزفر زفرة ثانية فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثى لركبتيه، ثم تزفر الثالثة فتبلغ القلوب الحناجر وتذهل العقول فيفزع كل امرئ إلى عمله، حتى أن إبراهيم عليه السلام يقول : بخلتي لا أسألك إلا نفسي، ويقول موسى : بمناجاتي لا أسألك إلا نفسي، ويقول عيسى : بما أكرمتني لا أسألك إلا نفسي لا أسألك مريم التي ولدتني، ومحمد ﷺ يقول : أمتي أمتي لا أسألك اليوم نفسي، فيجيبه الجليل جل جلاله ألا أن أوليائي من أمتك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فو عزتي لأقرنّ عينك في أمتك ثم تقف الملائكة بين يدي الله تعالى ينتظرون ما يؤمرون)[ذكره السيوطي في الدر في تفسير الآية (١٢) من سورة الفرقان] .

وعن علي رضي الله تعالى عنه قال : قلت يا رسول الله كيف يُجاء بها فقال ﷺ : (**يؤتى بها تقاد بسبعين ألف زمام يقود بكل زمام سبعون ألف ملك فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع**)[ذكره الثعلبي في الكشف والقرطبي في تفسيره الجامع والسيوطي في الدر في تفسير الآية (٢٣) من سورة الفجر] . أي أنها تنفلت من أيدي الملائكة عليهم السلام فيدركونها ويمسكون بها، ولولا ذلك لأهلكت البر والفاجر .

النار التي وصف عذابها رب العزة والجلال بأنه عذاب شديد أليم مهين عظيم مقيم غير منقطع عن أهلها لا يفتر عن المجرمين فيها أبداً نعوذ بالله تعالى من ذلك .

النار التي لها سبع دركات قال فيها سبحانه وتعالى : ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾[الحجر] . هذه الأبواب السبعة بحسب أعلى الدركات هي جهنم ثم أسفل منها لظى ثم تليها الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية وهي أسفل الدركات نعوذ بالله تعالى من ذلك[1].

[1] تفسير البغوي . ج٣، ص٥٩ . من تفسير سورة الحجر آية (٤٤) .

- قال تعالى في جهنم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ ﴾[إبراهيم] .

- وقال تعالى في لظى : ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ [المعارج] .

- وقال جل شأنه في الحطمة : ﴿ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ﴾[الهمزة] .

- وقال جلت عظمته في السعير : ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾[الملك] .

- وقال تعالى في سقر : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [المدثر] .

- وقال تعالى في الجحيم : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ ﴾[المائدة] .

- وقال تعالى في الهاوية : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾[القارعة] .

هذه النار التي هي دار العذاب وأعظم جنود الله سبحانه انتقاماً من الكفار والفجار يصلاها كل من كذَّب وتولى وأعرض وكفر وفجر ولم يلتفت لمراد الله تعالى منه ولِما استحقه سبحانه وبحمده من عبادة وطاعة وذكر وشكر وحمد .

النار التي كتبها الله سبحانه للمستحقين لها لتركهم الإيمان به عز وجل وتقصيرهم في حق شكره مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾[النساء] .

فلو لم يُعبد الله تعالى لأنه طلب ذلك ولأنه المستحق للعبادة لكان يجب أن يعبد سبحانه شكراً له وحمداً جرآء نعمه وآلائه وعطائه غير المنقطعة .

فكيف وهو سبحانه الذي لا إله غيره ولا رب لنا سواه ولا منعم ولا متفضل ولا رازق إلا هو سبحانه، فاستحق جل جلاله العبادة من ثلاثة أوجه :

– الأول . لأنه هو الذي خلق وطلب من الخلق عبادته وطاعته بل وخلقهم لأجل ذلك، ولا يوجد غيره سبحانه مَن خَلَق، وهذا معروف لدى الجميع دون أدنى شك أو ريبة، ولا يوجد من طلب عبادته إلا هو سبحانه وتعالى عما يصفون، إلا ما كان من شأن المعاندين من البشر ممن ادعى الربوبية والألوهية وهذا هراء باطل وضلال واضح لا يحتاج لتحقيق .

– الثاني . لأنه هو الأحق بذلك ما دام هو الرب الخالق الرازق المحي المميت القادر القدير المقتدر .

– الثالث . لأنه هو المنعم المتفضل ولا منعم ولا متفضل على الخلق غيره سبحانه وهذا لا مرية فيه، فيجب أن يشكر ويحمد على ما أعطى وعلى ما يعطي وعلى ما سيعطي سبحانه وتعالى عما يصفون .

لا تحزن ولا تهتم على الدنيا ولا تندم ... فإن نعيمها فانٍ زوالٌ حتمٌ إذا ما تم
ولا تكرب ولا تنصب ولا تعجز ولا تغتم ... فربُّ الناس حافظهم يكف الضر متى ما عم
فما للقوم أعيتهم صروف الدهر شغلتهم ... فخلق عينه عميت وخلق سمعه قد صم
فمحزون ومغبون ومفتون بها قد هم ... ومشغول بزخرفها شعوف النفس لها قد لمّ
فلا تحرص على الدنيا فلا كم ولا كم ... فإن كثيرها فتنٌ تضر بحبها يا عم
ولا ترخص جنان الخلد فإن نعيمها جم ... وحاول أن تفوز به إذا ما كنت ذا فهم
فوا عجباً لذي بصر وذا عقل وذا علم ... طلوبٌ لكل عاجلةٍ بكأس ملؤها سم

أ لم تسمع لقول الله اقرأ وربك الأكرم ... يدل صفيه المختار بنص كتابه المحكم
فبالدين وبالعلم وبالتقوى ألا قد تم ... لسائرِ مسلكٍ باغي نجاة النفس سوى ما ثَم
فلا تأنس بغير الله ولا تعزم ولا تهتم ... بغير كتابه القرآن شفاء الكرب به والسُقم
وأمض الوقت في غُنمٍ وإلا كنت في غُرمٍ ... وحاذر صَرمه في اللهو وجِد في دروب العلم
وصانع في سنا المعروف وأطرح شكره في اليم ... وكن للخير مفتاحاً بلا قيد به ذا عزم
وارقب يوم يأتيك نفير الموت يهديك ... شهيق ما له تالي فلا نفس ولا شم
ولا أصل ولا فرع ولا خال ولا عم ... ولا قُربٌ ليفديك ولا نسب ولا أم
فاعمل صالحاً يبقى يحاجج عنك إذ تبلى ... فلا منج من الله سواه حين لا مندم
مصير أنت لاقيه نعيم لن تجافيه ... أو الويلات والحسرات بكاء الدمع ثم الدم
جهنم حرَّها لهبٌ لظىً فالوجه منقشب ... سعير تصطلي فيه ونار جحيمها يحطم
ودَرَكٌ اسمه سقر بعيد القعر مستعر ... وهاوية لمن خفت صحائفه له كالأم
طعامٌ من شجر الزقوم ضريع يُغص به الحلقوم ... وغسلينٌ لا من سمن ولا من جوع يسد النهم
شرابٌ حميمٌ والغساق ومهلٍ مرٍ كالعلقم ... آنٍ خبيثٍ يشوي الوجه ينزع عنه مزع اللحم
واد الويل فيه الحمم عذاب عظيم يذيب الأكم ... فلا هو موت ولا يحيون ولا يخرجون عليهم غم
عذاب شديد للأفئدة ونارٌ عليهم مستوصدة ... عليهم سرابيل من قطران ثياب النار مقطعة لهم
فبادر أخيَّ بتقوى الإله وسابق موتك قبل تراه ... لعَلَ تزحزح عنها كذا تفوز بجنة إله الكرم
فطوبى لعاقل يفهم وويل لغافل يبهم ... ولا ناج ولا خاسر سواك يا بني آدم

وبالتالي فإن لم يُعبد من كانت هذه هي بعض صفاته وما ظهر للعباد منها مما فتح الله سبحانه بها عليهم فمن يا ترى هو الأحق أن يحمد ويشكر ويُطاع ويعبد ؟ سبحانه وتعالى عما يصفون .

وكل ما في الكون من خلق هو مسخر مدبر مسيّر على نظام ونسق رباني لا يحيد عنه أبداً وبسنن كونية دقيقة حكيمة الوضع، إلا الثقلين من الجن والإنس هما فقط

المخيرين بين البدائل ولا سيما الإنسان الذي أعطاه الله تعالى قدرة التغيير على وجه الأرض وذلل له كل شيء وسخر له الأشياء لتنفعل لمراده، فصار بذلك التذليل والتسخير أعلى رتبة في الخلق وكأنه سيد الكون يفعل فيه ما يشاء ليس لسواه من مخلوقات مثل تلك القدرة على التغيير حقيقة .

وهذا التغيير قد يكون للأحسن بالصلاح والإصلاح في الكون وقد يكون للأسوأ بالفساد والإفساد فيه، قال أصدق القائلين سبحانه : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[الروم] . والمعنى أن الله تعالى خلق الكون بما فيه والأرض بما عليها على هيئة الصلاح ولم يظهر الفساد إلا لما جاء الإنسان بعاثت يده وعبثت في الكون ففسد من ناحيتين :

١- بما تدخل فيه وغيّر من معالم الأرض فضرّ نفسه وأضر بغيره .

٢- بمعاصيه وذنوبه وما يُقَتِّر الله تعالى على العباد بسبب ذلك، فيعم البلاء البلاد والعباد والشجر والدواب وأول ذلك منع المطر قطر السماء .

فما هي حقيقة الإنسان :

إذا كان ضرره يعم الجميع وإذا كان كل الخلق قد سُخِّر له وانقاد لمراده بتسخير الله تعالى له ذلك ؟

الإنسان هو مخلوق بشري متحرك في حقيقة تكوينه أنه مركب من مركبتين هما (الروح والجسد) لا حياة للإنسان إلا باجتماعهما وسلامتهما، وهذا الجسم المادي بدوره مركب من (٩) أجهزة هي (الجهاز العظمي والعضلي والعصبي الإحساسي والهضمي والإخراجي والدوري الدموي والتنفسي والتناسلي الهرموني والمناعي) وكل جهاز من هذه الأجهزة مكوّن من أعضاء، وكل عضو منها مكوّن من أنسجة وأغشية،

وكل نسيج أو غشاء منها مكوّن من خلايا، وكل خلية منها مكوّنة من جسيمات صغيرة جداً هي نواة مركزية للتحكّم يدور حولها جسيمات أصغر منها مختلفة الشحنات الكهربائية، منها الموجب ومنها السالب ومنها متعادل الشحنة ولكلٍ وظيفته وعمله . وهذه الخلايا الصغيرة جداً هي التي تحمل الصفات الوراثية وتتحكم في القيام بوظائف الأعضاء، كل خلية وعضو بحسب العمل والوظيفة التي خلقها الله تعالى لتؤديه ولتقوم به .

ويقدر حجم تلك الخليه جزءاً واحداً على ألف جزء من المليمتر ورغم ذلك فهي تحتوي على أكثر من (١٠,٠٠٠) معمل لتخليق الخلايا والوظائف وبها مستودعات لحفظ المواد وبها حجرات للتفريغ وللإخراج والامتصاص . فهي بذلك كما لو كانت كوناً بحاله يجري فيها من العمليات كما يجرى في الكون .

وغشاء هذه الخلية رقيق جداً يقدر بجزء واحد على (١٠٠,٠٠٠) جزء من المليمتر وهو المسؤول عن دخول وخروج المواد من وإلى الخلية، وله قدرة التحكم وفرز المواد فيسمح أو يمنع لدخول أو خروج المواد بحسب نفعها أو ضررها .

والعجيب أن في قطرة واحدة من ماء البحر فقط يقدر فيها من الكائنات المجهرية وهذه الخلايا البسيطة ما يفوق عدده (٥٠,٠٠٠) كائن مجهري، وفي قطرة من الماء العذب كالعيون والأنهار ما يفوق ذلك العدد .

ودماغ الإنسان وحده فيه (١٤) مليار خلية عصبية، وبعد الولادة مباشرة تتكون في كل ثانية في المولود (٤٠,٠٠٠) خلية وما تلف بالشيخوخة منها لا يعوَّض، ويقدّر وزن المخ بـ (٢%) من وزن الجسم وهو في الرجل البالغ قرابة كيلو وربع . ومخ الرجل أكبر من مخ المرأة . وهناك خلايا يقدر تعدادها بـ مليار ونصف لم يعرف حتى الآن ماهية وظيفتها .

وفي الإنسان ملايين الخلايا من هذا النوع لكلٍ منها دور رئيس لا بد منه للقيام به بنفسها . ويتضح بهذا أن حقيقة جسم الإنسان في حركة داخلية مستمرة تصنف إلى نوعين هما :

- عمليات امتصاص للنافع تسمى بعمليات البناء .
- عمليات تخلص من الضار تسمى بعمليات الهدم .

وكل ذلك يجري في جسم الإنسان وهو لا يعلم ولا يدري عن ذلك شيء . وكل هذه العمليات تتم بشكل رئيس معتمدة على سائل الدم، هذا السائل العجيب الذي له ميزات عجيبة، ففي الجسم يحتاج لسيولة ما ليجري في العروق ومجاريه، لكنه متى خرج من الجسم بجرح مثلاً لزم أن يتخثر ولو أنه بقي على سيولته تلك لمات الإنسان نزيفاً . وهذا السائل يتحرك في الجسم بواسطة ضخه في سائر العروق من قِبل سيد الأعضاء وهو القلب[1] .

---

[1] القلب هو وعاء الترجيح والتصميم والإرادة واتخاذ القرار، والقلب منبع الشعور والأحاسيس فمتى صلح واستقام رَشَد الإنسان ومتى زاغ وفسد ضل الإنسان، لأنه هو الذي يضخ الدم إلى سائر أعضاء الجسم فمتى ضخ دماً صالحاً صلحت الأعضاء به ومتى فسد وضخ دماً فاسداً فسدت الأعضاء ولذلك قال ﷺ فيه : (**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**)[متفق عليه] .

وسمي القلب قلباً لكثرة تقلبه بين الأمور قالت أم سلمة : (كان أكثر دعائه ﷺ يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، فقلت : يا رسول الله ما أكثر دعاءك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، قال : **يا أم سلمة إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ**)[الترمذي وابن ماجة وأحمد] .

ولذلك قيل أن للقلب ست حالات هي : (موت وحياة ونوم ويقظة وصحة ومرض) فموت القلب الكفر وحياته بالإسلام، ونومه الغفلة ويقظته بالذكر، ومرضه العلاقة وصحته بالصفاء .

فمن تعلق بشيء من أمور الدنيا أصابه الوهن وهام به لأن أساس مرض القلوب إنما هو التعلق بغير الله تعالى وبالتالي ضعف الإيمان وقلة اليقين .

والقلب في القرآن الكريم ذكر (١٣٢) مرة، بمشتقات الكلمة ومرادفاتها، وفي كل أحواله، وما ذلك إلا لأهميته . وتكمن أهميته تلك لعدة أمور :

١- أنه محل الإيمان . وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾[الحجرات ١٤] .

٢- أنه محل نظر الله تعالى . وفي الحديث قوله ﷺ : (**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**)[مسلم] . وفي وراية : (**إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم** . وأشار بأصابعه إلى صدره)[مسلم] .

٣- أنه مكان التقوى . وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**التقوى ههنا**، ويشير إلى صدره ثلاث مرات)[مسلم] . قصد بذلك ﷺ أن مكان التقوى القلب الذي في الصدر .

٤- أنه سيد الأعضاء . وفي الحديث قوله ﷺ : (**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**)[متفق عليه] .

٥- أنه مكان الهداية . وفي محكم التنزيل قول الله جل شأنه : ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾[التغابين ١١] . وهداية البدن هي بكل حال تابعة لهداية القلب .

٦- أنه محل الطمأنينة . وفي محكم الوجيز قوله عز وجل : ﴿بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾[البقرة ٢٦٠] . فالقلب متى اطمأن استحوذت الطمأنينة على كل البدن .

٧- أنه مستقر الأعمال . وفي الكتاب العزيز قوله جل جلاله : ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾[المطففين ١٤] . وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صُقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله،** ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾)[الترمذي وابن ماجة وأحمد والحاكم والبيهقي في الشعب] .

ومن عجائب هذا القلب أنه يعمل طوال عمر الإنسان لا يتعب ولا يتوقف ولا يستريح أبداً وهو يدق في الدقيقة الواحدة (٧٠) دقة، ويضخ في اليوم الواحد (١١) طن من الدم يقطع خلالها مسافة (٨٠٠٠) ميل، وهو طول الشرايين والأوردة والشعيرات الدموية في جسم الإنسان .

وهذا الجسم العجيب يبلغ طول الأعصاب فيه (٧٥) كيلو متر . أما الشرايين فيه فيبلغ طولها (٦٠٠,٠٠٠) كيلو متر، في حين أن رئتي الهواء، منه في كل رئة منها (٣٠٠) مليون حجرة هوائية، والرئة اليسرى أصغر من اليمنى لأنها تأتي فوق المعدة .

أما الكليتين والتي تعتبر هي مصافي الجسم، فهي تصفي في كل يوم (١٥٠) لتراً من السوائل، في كل (٤٠) دقيقة تقوم الكليتان بعملهما، أي (٣٦) مرة في اليوم،

٨- أن به تكون الذكرى . وفي الكتاب المجيد قوله جل في علاه : ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾ [ق ٣٧] .

٩- أن به يحصل الدبر . وفي القرآن الكريم قول ربنا سبحانه ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ [محمد ٢٤] . أي قلب ذاكر يتأثر بالمواعظ والعبر .

١٠- أنه محل العقلانية والفهم . وفي الكتاب الكريم قوله جلت عظمته : ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها﴾ [الأعراف ١٧٩] .

١١- أنه محل الاعتقاد ومنبع الأفكار . وفي الكتاب المبين قوله جلت قدرته : ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم﴾ [الحجرات ٧] .

١٢- أنه مستقر السكينة . وفي محكم التنزيل قول ربنا سبحانه : ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين﴾ [الفتح ٤] . ولهذه الأمور ولغيرها ذكر القلب في القرآن الكريم في آيات كثيرة ومتعددة . من كتاب المذهب للمؤلف .

٩٩% مما تصفيه يعود في الدم مرة أخرى، والباقي منها إلى خارج الجسم على هيئة فضلات ضارة .

كما اكتشف أن في الجسم (٣٦٠) مفصلاً، وهذا ما بينه ﷺ بالضبط قبل مئات السنين بقوله ﷺ : (**إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل، فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله وعزل حجراً عن طريق الناس أو شوكة أو عظماً من طريق الناس وأمر بمعروف أو نهي عن منكر عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامى فإنه يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار**)[مسلم] .

وفي رواية : (**يصبح على كل سلامى من أحدكم في كل يوم صدقة فله بكل صلاة صدقة وصيام صدقة وحج صدقة وتسبيح صدقة وتكبير صدقة وتحميد صدقة فعد رسول الله ﷺ من هذه الأعمال الصالحة ثم قال يجزئ أحدكم من ذلك ركعتا الضحى**)[أبو داود . والسلامي هي المفصل] .

وفي جسم الإنسان أيضاً (٢٠٦) عظماً على اختلاف أحجامها بحسب وظائف الأعضاء، في الجمجمة وحدها (٢٩) عظماً وفي الوجه وحده (١٥) عظماً، يحيط بكل ذلك العدد (٦٥٠) عضلة حول الهيكل العظمي .

وهذا الجسم العجيب له درجة حرارة معتدلة قدرت بـ (٣٧,٥) درجة مئوية، في حين أن درجة حرارة الكبد فيه ليؤدي وظيفته على الوجه المطلوب (٤٠) درجة مئوية لو نزل عنها لتعطل ولمات الإنسان، وفي نفس الوقت نجد أن درجة حرارة العين لتؤدي وظيفتها (٩) درجات مئوية لو زادت عن ذلك لفقأت العين ولَسَال ماؤها على الوجنتين، وكل ذلك في جسم واحد وتحت جلد واحد، ولكل عضو ما يناسبه ويناسب وظيفته منك يا ابن آدم فيا سبحان الله الخلاق العظيم المبدع الحكيم قال سبحانه :

﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الذاريات] . أي ألا يبصر الإنسان لجوانب الإعجاز التي في جسده .

ولو أننا أخذنا بدلالة هذه الآية من قوله تعالى (أفلا تبصرون) مدى نعمة البصر فقط لرأينا الأعاجيب . فالعين موجودة في مقدمة الرأس جعلها الله تعالى تَسبَح في سائل لا يجف أبداً لتتحرك في كل اتجاه بروابط وأعصاب دقيقة جداً ومتى داهمها شيء سال دمعها لا إرادياً ليطهرها، ثم حماها سبحانه بجفون لتحفظها ولا سيما حال النوم والخوف والفجأة، وزود هذه الجفون بأهداب الرموش لتحميها وللجمال أيضاً، ثم حمى العين مما ينزل من الجبهة من عرق وسواه بالحواجب وهي أيضاً للجمال والزينة، وقد اكتشف العلماء أن بالعين مليون عدسة صغيرة يرى الإنسان بها، منها عدسات يرى به الأسود والأبيض فقط، ومنها عدسات ملونة، وأنه يحيط بالعين عضلات دقيقة تنقبض وتنبسط في اليوم أكثر من (١٤٠٠) مرة . وكل ذلك ليتمتع الإنسان ويسعد في حياته، فبكم هي نعمة البصر .

والخلاصة أن الإنسان في حقيقته ليس هو الذي يتحكم في جسمه وما يجري فيه من حركات وعمليات، وما حركته الظاهرية إلا بقدر جزء واحد فقط من ملايين الحركات، وكل ما سوى ذلك فهو مسيّر فيه لا يعلم من أمره شيء، وبالتالي فهو لا يعلم عن نفسه إلا قدر جزء بسيط جداً جداً .

- فمثلاً كيف لو أن حركة التنفس تجري بمراد الإنسان وليس بمراد الله تعالى وما أودع في الجسم من عمليات جسمية تلقائية لا إرادية .

- كيف لو أن الدم لا يتحرك في مجاريه وعروقه إلا بأمر الإنسان وليس بطريقة تكوينية ربانية .

- كيف لو أن عمليات الهضم والامتصاص والإخراج لا تتم إلا بإرادته .

– كيف لو أن عمليات البناء والهدم في الجسم واستبدال الأنسجة التالفة بأخرى لا تتم إلا بأمره .

– كيف لو أن كل عضو أو نسيج أو غشاء في الجسم لا يقوم عمله إلا بأمر الإنسان المسكين .

– كيف لو أن الخلايا لا تبدأ عملها إلا بعلمه وأمره .

– كيف لو أن عمليات الدفاع ضد الأمراض والجراثيم لا تتم إلا بأمره .

– كيف لو أن الأجهزة التي ذكرت لا تقوم وتباشر عملها إلا بأمره . كيف وكيف وكيف لو كان شيئاً من ذلك لتعطل الجسم ولمات الإنسان قال سبحانه : ﴿ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾[يس] . الذي قدر كل شيء بدقة متناهية ولطف بكل شيء من خلقه بما ينفعهم مصداقاً لقوله عز وجل : ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[الملك] .

إذن فمن فيض رحمة الله تعالى وحكمته وعلمه وعظمته لم يملِّك الإنسان أمر نفسه ولا قوام جسمه من حركات ووظائف وما يجري فيه من عمليات حيوية تبادلية كل ذلك لم يجعلها سبحانه في يده وإلا لما استطاع فعل شيء أبداً ولكنه عز وجل جعلها عمليات تلقائية مدبره مسخرة مصرفة من لدنه لا دخل للإنسان فيها أبداً بل ربما لو حاول التدخل في شيء منها لأفسده بجهله وتعديه على صنعة ربه عز وجل، ولم يمكِّنه سبحانه إلا مقدار اختياراته وحركته الظاهرية الخارجية فقط وما سوى ذلك فهو محكوم بنظام رباني محكم يسير ضمن نسق لا يمكن أن يخرج أو يحيد عن مجراه أبداً مما قد حدده وقدره الله عز وجل له فسبحانه وتعالى عما يصفون .

وهذا كله في جانب الجسد أما جانب الروح فهو أمر أعظم وسر أكبر[1]، فالروح هي سر الحياة وهي من روح الله تعالى أصلاً التي نفخ في آدم عليه السلام وفي ذريته من بعده مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٩ ﴾[السجدة] .

فروح الإنسان هي من روح الله جل جلاله مصدر ومنبع كل شيء، وحياتنا قائمة بروحه سبحانه وتستمد منه كل القوى عز وجل، وهو جل شأنه الذي تصدر منه كل الأمور وإليه تصير وترجع، وعلى ذلك كان يتوجب على الإنسان ألا يلتفت إلى غير ربه سبحانه وتعالى أبداً في أي شيء كان من سائر شؤون حياته .

فإذا كان سبحانه هو الذي خلق وهو الذي أحسن الخلقة وهو الذي أنعم وتفضل وتكرم وهو الذي بخلقه أعلم وهو الذي أحاط بكل شيء علماً وهو الذي على كل شيء قدير وهو الذي يعلم مكنون الصدور وخفايا القلوب بل ويعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون وهو الذي قدّر كل شيء تقديراً وهو الذي جعل في الكون نظاماً ربانياً محكماً حكيماً ارتضاه لخلقه وهو الذي بكل شيء محيط .

ثم هو سبحانه بعد ذلك الذي أوجد في النفوس مدلول العبادة وهو الذي فطر القلوب على وجوب الاعتقاد بمعبود وهو الذي أمر خلقه بعبادته وهو الذي أرسل

[1] حقيقة خلق الإنسان من جزء مادي مشاهد في عالم الملك وهو الجسد، وجزء معنوي محسوس في عالم الملكوت وهو الروح، والإنسان بذلك يكون قد اجتمع له عالم الملك وعالم الملكوت، فكان سيد عالم الملك بما فيه من سر عالم الملكوت، وسيد الملكوت بما فيه من سر عالم الملك . فسبحان الله العلي العظيم .

الأنبياء والرسل عليهم السلام لإقامة دينه وتصحيح وجهة فساد الخلق وانحرافهم متى حصل ذلك وهو الذي أنزل الكتب السماوية بمنهجه الحق وهو الذي شرع الشرائع من لدنه لكل زمان ومكان ما يحقق نفع ومصلحة وخير أهله وبما يناسبهم .

ثم هو جلت عظمته بعد ذلك الذي وعد عباده الطائعين وأعد لهم نعيماً أبدياً في جناته في الآخرة بالإضافة لنعيم الدنيا الفاني، وهو الذي توعّد عباده العصاة بعذاب أليم والكفار بعذاب أبدي في نارٍ لا طاقة لهم على تحمله في الآخرة بالإضافة إلى الشقاء والبلاء في الدنيا، وهو الذي أيَّد عباده الطائعين وكان معهم وفي عونهم دوماً، وهو الذي خذل عباده الكافرين والعصاة وكان منتقماً منهم، وهو الذي جعل عباده فريقين وحزبين حزبه الذي آمن به وأطاعه وتبع شرعه وحقق مراده، وحزب عدوه الشيطان ممن كفر أو ممن عصا وطغى وفجر وفسد وأفسد .

ثم هو تقدس اسمه بعد ذلك الذي جعل في الكون آيات باهرات وأمور إعجازية ودلائل قدرة تدل عليه وأنه الخالق الرازق في هذا الكون بما لا يدع مجالاً للشك في وجوده سبحانه وبما كان يستوجب أن يؤمن به كل البشر على الإطلاق بما يرون ويشاهدون ويحسّون ويستشعرون ويكتشفون، أمور يحار فيها العقل البشري ويقف عندها يسأل ويتساءل من الذي أوجد ذلك وقدَّره ذلك التقدير وسيرَّه ودبره وصرفه وهو على كل شيء قادر وقدير ومن ورائه محيط .

وكلما اكتشف الإنسان شيئاً من تلك الأمور تساءل من الذي له مطلق القدرة على الخلق والإيجاد والفعل والتصرف والتدبير لهذا الكون الفسيح وما فيه من أمور عجيبة، دالة على الإعجاز الرباني قال سبحانه في أصدق الذكر : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴿٥٣﴾ ﴾[فصلت] .

وهذا كله في جسم الإنسان أما لو نظرنا في الآفاق لرأينا الأعاجيب في عوالم الأرض من عالم النبات وعالم الحيوان وفي البر والبحر والهواء والجمادات وفي كل أنواع وأشكال وأحجام المخلوقات، فالطبيعة مليئة بالعجائب وسبحان الخلاق العظيم[1].

فدلائل القدرة لا يمكن تجاهلها وصوت العقل والفطرة بداخل كل نفس لا يمكن كتمه والمشاهدات والمكتشفات لا يمكن إغفالها وكلها نطقت بسم رب الكون، سبحانه وتعالى الذي أوجده وخلقه من عدم وأبدعه وأحسن صنعته وأتقن نظامه وسيَّر خلقه على أفضل منهج فصدق سبحانه القائل : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴿١١٧﴾ ﴾[البقرة] . وصدق تعالى القائل : ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ ﴿٧﴾ ﴾[السجدة]

[1] قال علماء الحيوان : أن عالم الثدييات يوجد منه أكثر من (٢٥٠٠) نوع من الحيوانات يأتي الإنسان على رأس ذلك التصنيف . وأن هناك من عالم الزواحف قرابة (٨٠٠٠) نوع، ومن عالم البرمائيات (٣٢٠٠) نوع، ومن عالم الطيور (٩٠٠٠) نوع، ومن عالم الأسماك (٢١,٠٠٠) نوع، أما عالم الحشرات فهناك ما يفوق (٣٠) مليون فصيلة ونوع، من الخنافس فقط (٤٠,٠٠٠) نوع، أما الحيوانات الأولية فيقدر عدد أنواعها بـ (٥٠,٠٠٠) نوع، هذا غير الحيوانات من عموم الفصائل والأنواع الأخرى . فسبحان الله العلي العظيم .

أما عالم النبات فهو خلق آخر فقد بلغ عدد أنواعه (٣٥٠,٠٠٠) نوع، الزهور منه فقط (٥٠٠,٠٠٠) نوع، أما النبات الزهري ففيه ما يزيد عن (٢٥,٠٠٠) نوع، وأن هناك من أنواع الطحالب (٢٠,٠٠٠) نوع، ومن الفطريات (٤٢٠٠٠) نوع، وهناك أيضاً (٥٥٠) نوع من الصنوبريات . هذا غير بقية الأشجار والنباتات الأخرى بفصائلها وأنواعها المختلفة من ذوات الفلقة وذوات الفلقتين، ومن ذوات الساق ومن العشبية، من النبات السام وغير السام، الدوائي وغير الدوائي، المثمر وغير المثمر، المعمر وغير المعمر . ولك أن ترى في ذلك من عجائب الأشكال والألوان والوظائف والتراكيب، وكل هذا فيما وقع تحت يد التوثيق والإحصاء والتدوين والاكتشاف . وإلا فخلق الله سبحانه وتعالى عما يصفون أكبر وأوسع وأعظم ولا يعلمه إلا هو سبحانه .

. وصدق تبارك وتعالى القائل : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[غافر] .

وبعد كل ذلك ! وإذا ثبت فعلاً أن للكون خالقاً وموجداً ومصرفاً ومدبَّراً ومسخِّراً ومسيِّراً وأن لذلك الخالق مطلق القدرة فيه . وهذا الخالق سبحانه هو الرازق المنعم المتفضل على خلقه بعموم النعم في هذه الدنيا لا سواه .

وهذا الخالق الرب هو الإله المشرِّع الذي أمر الخلق بعبادته وطاعته وأعدَّ لذلك منهجاً وشرعاً متكاملاً فيه نفع كل الخلق جملة وتفصيلاً .

وهذا الإله أعدّ لمن آمن به وأطاع نعيماً، وأعدّ لمن كفر به وعصا وفجر جحيماً، كلاً بما يستحقه . وهذا الإله جعل الدنيا دار ممر وبيَّن ذلك لعباده وحذرهم من الركون إليها، وجعل الآخرة دار مستقر وبيَّن ذلك لعباده وأن الآخرة إما مصير سعادة وإما مصير شقاء، ليشتاقوا للجنة ويخافوا من النار .

فما هي حقيقة العبودية :

وكيف يتجاهل الإنسان كل هذه الأمور ويعرض عنها، ثم يذهب ويضع رأسه على الأرض ليسجد لمن ؟

- لحجر أصم لا يتحقق بالسجود له أيَ من معاني العبادة ؟

- لنجم أو لقمر أو لشمس لا يطاله المرء ولا يكاد يرى منه إلا بصيص ضوئه البسيط أو نوره أو شعاعه وكلهم يغيب عنه ؟

- لبشر مثله لا يختلف عنه بشيء وهو مثله فقير مفتقر محتاج يمرض ويموت ؟

– لميت لا يسمعه ولم يشاهده ولم يستطع أن يهب لنفسه الخلود في هذه الحياة فكيف سينفع غيره ؟

– لحيوان دونه رتبة في الخلق ولو تكلم لسخر منه واستهزأ به ؟

– لشجرة ثابتة ولو أراد لخربها وقطعها بكلتا يديه ؟

– لتمثال غائبٍ لا يعلم عنه شيئاً ولا يعرف من هو ولا ما حقيقته ؟

– لمَلَك أو جنٍ لا يعلم كيفية حقيقته وهو لم يره وليس بينهما أية صلة ؟

سبحان الله العظيم كيف تستسيغ عقول أن تتعبد أو أن توجد معبودات من لدنها بهذه الصفات ثم تترك من له كل القدرة المطلقة في الخلق والتصرف مصداقاً لقوله سبحانه في كتابه العزيز : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[الأعراف] ! فسبحانه وتعالى عما يصفون .

كيف يمكن أو لماذا الكثير من الخلق يبحث في الكون عن معبود ما ! لا يعلم عنه أي شيء، ليدين له بالعبادة والطاعة ! ولا يعبد من خلق الكون وهو به أعلم ولا متصرف فيه غيره عز وجل ! .

لماذا يترك الإنسان عبادة من له كل شيء ويبحث عمن ليس له أي شيء ولا حتى أدنى أثر أو قدرة في هذا الكون ؟

– هل لتلك المعبودات القدرة على الخلق ليجيئوا به إذن ! صدق سبحانه القائل : ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ [لقمان] . ومسألة أن الإنسان مخلوق لا مرية فيها وإلا فكيف أُوجِد من عدم مطلق، أخُلق من غير شيء أم أنه خلق نفسه صدق سبحانه القائل : ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[الطور] .

– أم هل لتلك المعبودات خلق في الكون أشبه بخلق الله تعالى فاشتبه عليهم الأمر فعبدوهم من دون الله سبحانه ! صدق عز وجل القائل : ﴿ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ ﴾[الرعد] .

– أم هل لتلك المعبودات قدرة حقيقية لتخلق خلقاً عظيماً لا مرية فيه ! صدق سبحانه القائل : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾[الروم] .

– أم هل لتلك المعبودات أدنى خلق في هذه الدنيا أوجدته من عدم ! صدق الله القائل : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾[الزمر] .

– أم هل من تلك المعبودات من يملك الزرق للخلق فيعطيهم ! صدق سبحانه القائل : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾[هود] .

– أم هل من تلك المعبودات من له القدرة حقاً وفعلاً فيحي أو يميت ! صدق سبحانه القائل : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف] . وصدق جلت عظمته القائل أيضاً : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[البقرة] .

كل إنسان يعلم علماً يقينياً أنه لا قدرة لأحد على الفعل حقاً في هذا الكون إلا الله تعالى، فلماذا يذهب الكثير ويلتمس له معبوداً غير الله ؟ سبحانه وتعالى عما يصفون . ثم وعلى مر التأريخ لم يوجد معبود دون الله تعالى له أثر وقدرة تفوق قدرة التغيير التي لدى الإنسان في عالم الحقيقة، والمعنى كيف يعبد الإنسان ما هو دونه في

رتبه الخلق أو مثله في الخلق ويترك من هو فوقه ممن له كل القدرة ومطلق التصرف وهو الله عز وجل .

ثم أليس الذي خلق وجعل[1] ورزق وأحيا وأمات وأنزل المطر وأنبت الزرع والشجر وأخرج النبات والثمرات والزهر وأرسى الجبال وأجرى الأنهار وجعل الأرض قراراً وغاض البحار وأرسل الرياح وساق السحاب وقدَّر كل شيء وخلق النفوس وجعل منها زوجها وجعل لها ذرية وأحفاداً ويعلم السر وأخفى وكل الخلق يسيرون بتقديره وقدرته وقَدَرِه والكل خاضع تحت سلطانه وأمره وقهره وكل ما في الكون تحت تصرفه وكل الخلق يدعونه متى اضطروا ويستشفونه متى مرضوا ويطلبون منه الأمن وبه متى خافوا ويأكلون من رزقه ويغرقون في نعمه ولولاه سبحانه لما كانوا شيئاً .

ثم هم إن أرادوا أن يعبدوا حادوا عنه وعن منهجه الحق وعبدوا غيره وابتغوا منهجاً غير منهجه عز وجل .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل] . والمعنى أنه ما من نعمة إلا وهي من الله تعالى تقديراً وعطاءً وتيسيراً ومنَّة منه عز وجل .

فأصغر نعمة وأكبر نعمة وأدنى نعمة وأظهر نعمة وأخفى نعمة مما نعرف ومما لا نعرف هي من الله تعالى، تفطَّن العباد لذلك أم لم يتفطَّنوا ! ثم إذا وقع العباد في ضائقة أو ضر أو شر أو بلاء هربوا إلى الله تعالى وهرعوا إليه ودعوه وطلبوه لأنهم يعلمون أنه لا منجي حقيقة إلا هو جل جلاله .

---

[1] الخلق يكون من عدم، والجعل يكون من موجود، ولله تعالى مطلق القدرة في الخلق والجعل سبحانه وتعالى عما يصفون .

فلماذا البشر متى كانوا في ضائقة أو احتياج ما دعوا الله تعالى ولجأوا إليه ! فما أن يجد المرء نفسه في ورطة متحققة ينسى كل شيء مزعوم مما يعتقده ويلجأ مباشرة إلى الله الحق العلي الكبير ! لأنه حينها يعلم أنه لا مخلص له ولا منجي حقيقة إلا الله سبحانه وبالتالي فلن يضحك على نفسه ويجازف بمزاعم وأباطيل يحاول أن يقنع بها نفسه وقت الرخاء أو يلبس بها على الآخرين .

لكنهم متى خرجوا من تلك الضائقة أو اكتفوا من احتياجهم ذاك سولت لهم أنفسهم واستولت عليهم شهواتهم وغلبت عليهم شبهاتهم ولعبت بهم أهواؤهم واستفزتهم شياطينهم فحادوا بذلك عن طريق الحق وعصفت بهم رياح الأباطيل والضلالات والأهواء والبدع، وصدق جل في علاه القائل : ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ﴿١٢﴾ ﴾[يونس] . وصدق عز وجل القائل : ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ ﴿٨﴾ ﴾[الزمر] .

وصدق سبحانه حين قال في الحديث القدسي : (**إني والجن والإنس في نبأ عظيم أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر غيري**)[البيهقي في الشعب والحاكم في تاريخه والطبراني في الشاميين، وذكره الثعلبي والبيضاوي في تفسير الآية (١٧٢) من سورة البقرة، والسيوطي في الدر تفسير الآية ٥٦ من سورة الذاريات، وغيرهم] .

وهذا أمر متحقق فكيف يأكل الإنسان من خيرات ونعم الله تعالى وهو منغمس فيها ثم يذهب ليعبد غيره ويشكر سواه .

وأمر آخر لو تنبه الخلق له وهو أن الله عز وجل أعطى لخلقه كثيراً وأمرهم بالقليل، وهذا من واسع فضله وغاية رحمته بعباده سبحانه وتعالى عما يصفون .

فمثلاً ! نجد أن الله تعالى هيأ لخلقه أنواع الطعام والشراب ليأكلوا ويشربوا مما لذ وطاب، جمع لهم صنوف المطعومات نعمة كبرى أحلها وهيأها لهم .

ثم بماذا أمرهم أن يقابلوا تلك النعمة العظيمة بعد الفراغ من الطعام أو الشراب، هل أمرهم بصلاة عشرين ركعة مثلاً ! كلا، وإنما أمرهم بكلمة واحدة فقط يقولها المسلم، وهي كلمة (الحمد لله) لأنها تأتي من باب الاعتراف بالنعمة وشكر المنعم بها .

وكذلك الخلاء، متى دخله الإنسان ليقضي حاجته ويخرج الأذى والخبث عنه، فمتى انتهى من ذلك وخرج من خلائه واستراح، بماذا أمره سبحانه يا ترى ! بقراءة عشرة أجزاء من القرآن الكريم مثلاً ! كلا، وإنما أمره بكلمة واحدة فقط يقولها، وهي كلمة : (غفرانك) . ولماذا غفرانك ؟

لأنه كان من المفترض ألا يكلّ لسانه عن الذكر لله تعالى والشكر له سبحانه ولكنه متى دخل الحمام صمت لسانه عن ذكر اسم الله تعالى تعظيماً وتنزيهاً لاسمه في ذلك الموضع الخبيث، وهذا السكوت هو غفلة منه ما كان يجب أن يصمت اللسان عن دوام الذكر لله عز وجل، وما كان للسان أن يفتر عن ذكر الله سبحانه وتعالى إلا في ذلك الموضع .

كذلك إذا منّ الله تعالى على المرء فنام ملء جفونه نوماً هانئاً لا منغص فيه ولا كدر وتلذذ على فراشه، ثم استيقظ، فبماذا أمره ربه عز وجل يا ترى بصوم عشرة أيام مثلاً ! كلا، وإنما بجملة واحدة يقولها، وهي : (الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور) .

وكذلك متى رُزِق العبد نعمة أو خيراً ما فبماذا أمره ربه الكريم يا ترى، هل أمره بأداء عُمرة مثلاً ! كلا، وإنما أمره بأن يقول كلمة واحدة فقط هي كلمة : (الحمد لله) وله أن يثنى عليه بما هو أهله سبحانه كأن يقول : (الحمد لله الذي بنعمه تتم

الصالحات) ولو أحسن العبد في الشكر فسجد لله تعالى سجود الشكر لكان قد نقل الشكر من القول إلى الفعل وهذا أحسن وأفضل ولا شك .

وكذلك سائر الأمور نجد أن الله تعالى أعطى كثيراً وأمر قليلاً . فنجد أن الله تعالى لم يأمر مقابل شكر النعم إلا بقول يسير، وكلها أقوال، ولم يأمر بأفعال عز وجل أبداً حتى لا يشق على الخلق سبحانه وتعالى .

ومع ذلك فالكثير من العباد من يقصر حتى في الحمد باللسان ويعجز عن شكر الله تعالى ولو بكلمات قليلة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ورغم ذلك فالعباد مفرطون فيه ومقصرون، فكيف لو أن المأمور به كان على قدر النِعَم وعلى مدى عطائها، لما استطاع الخلق القيام به أبداً، ولا سيما وأنها نِعَم متجددة متوالية متكررة .

ولذا كان الواجب على المسلم دوام الشكر والذكر لله سبحانه، لأن حبل النعم من الله جل جلاله وفّر للعباد وهيأ لهم وأعطاهم (٤) أمور :

١- وهب سبحانه وتعالى لعباده عموم النعم ابتداءً .

٢- ثم والاها عليهم دون انتهاء .

٣- وكان عطاؤه عز وجل بلا استحقاق، بل أكثر مما يستحق العباد .

٤- لم يعلق العطاء على مدى الشكر والكفر وإلا لحَرَم الكثير والكثير ممن كفر أو ممن عصى وفجر .

فله عز وجل على ذلك كل الحمد والشكر دوماً وأبداً كما ينبغي لجلال وجهه ولعظيم سلطانه سبحانه وتعالى عما يصفون .

ثم أين هي تعاليم تلك المعبودات ؟ ومن الذي جاء بها ؟ أين رسلهم وكتبهم ومناهجهم ؟ أخلقوا كما خلق الله تعالى ؟ أرزقوا كما رزق الله سبحانه ؟ أجاءوا بكتب

كما أنزل الله ؟ أبعثوا رسلاً كما أرسل الله وبعث إلى خلقه ! أم أنها معبودات توضع من بشر حادت عقولهم الحق الظاهر وجانبت الصواب !

هل تحققت بتلك التعاليم وبتطبيقها وإتباعها فعلاً سعادة الإنسانية ! أم أن الأمر مجرد شبهات قلبية لإقناع عقول بها لإرضاء وإشباع غريزة التدين في داخل الإنسان بتعاليم ترضيهم وترضي نفوسهم المنحرفة وبتكاليف توافق أهوائهم ! هذا هو الواقع لا سواه .

وإلا فالحق أوضح من أن يخفى وفي قرارة كل نفس يجد الإنسان ذلك من كونه مخلوق مدبر له خالق أوجده وهو الذي يتولى تدبير أموره وتصريف شؤونه، وأوضح دليل على ذلك أن الإنسان متى خاف لجأ إلى من هو أقوى منه وهو إله السماء راجياً منه أن ينجيه . وهنا وقفة حقيقية !

هل الإله المعبود :

هو الذي يخلق ويضع المنهج ثم يطلب من الخلق عبادته والإيمان به ! أم أن الإله يُخترع ويُوضع ثم تُوضع له القوانين والتعاليم من قِبَل بعض البشر ثم تعمم على الجميع بحجة أنها من عند الإله ! أيُ آلهة هذه الذي يُوضع ويُنصب لها وهي لا تعلم معنى الألوهية، ثم تُوضع لها التعاليم على أنها دين ومنهج من عندهم كيف يكون ذلك ! صدق سبحانه وتعالى القائل : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾[الأحقاف] . لأن العبادة على مثل هذا النهج هي عبادة عبث وبطلان، وإلا كيف يعبد من يعقل من لا يعقل ! هل يعبد الأعلى الأدنى، ومن هو أقل منه شأناً !

أَوَ ليس من الأولى إتباع منهج من خلق وهو يدعو خلقه لذلك وترك كل ما سواه من مزاعم وأباطيل مصداقاً لقوله عز وجل : ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[الأعراف] .

ثم أين هي تلك المزاعم التي من دونه عز وجل ! ومن الذي شرعها وأذِن بها ! صدق جل في علاه سبحانه القائل : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ ﴿٢١﴾ ﴾[الشورى] .

من الذي قال للإنسان أن يفعل ذلك فيتخذ آلهة أخرى من عند نفسه من دون الله تعالى ! صدق سبحانه القائل : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الأنبياء] .

إذن تحقق أن ذلك الإله القادر هو الأحق بالعبادة لأنه هو الخالق الرازق المحيي المميت المتصرف المدبر وكان الأولى بالعباد أن يعبدوه لا سواه، والإنسان لو تدبر وتأمل وتفكر فيما حوله من دلائل القدرة والعظمة في هذا الكون لوجدها تفوق الحصر بل وتفوق التصوّر .

فكل ما في الكون انصاع لحكم الله تعالى فهو مسخَّرٌ مدبَّرٌ مسيَّرٌ لمراده عز وجل دون اختيار منه إلا الثقلين المخيَّرين من إنس وجن، كل الكون نطق بحمد الله تعالى وسبح باسمه جلت عظمته .

– ألم يقل سبحانه وتعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾[الإسراء] . كل شيء يسبح بحمد ربه سبحانه وتعالى عما يصفون .

- ألم يقل سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴿٣٨﴾ ﴾[الأنعام] . لكل أمة عمل ومنهج مع ربها سبحانه وتعالى عما يصفون .

- ألم يقل سبحانه وتعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٨﴾ ﴾[الحج] . لاحظ كلمة (وكثير من الناس) لم يستثن سبحانه وتعالى من خلقه الآخرين شيء إلا الإنسان المخير، وكل ما سواه من خلق الله تعالى سجد له عز وجل طوعاً وكرهاً دون اختيار إلا الثقلين من جن وإنس منهم من آمن وأطاع ومنهم من كفر وفجر مصداقاً لقوله سبحانه : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[أل عمران] . كل شيء انقاد وانصاع لمراد الله سبحانه وتعالى عما يصفون .

وإذا علم الإنسان ذلك عن ربه وخالقه ومولاه وجب عليه الإيمان به والطاعة له والتصديق بكل ما أخبر به سبحانه والسير على منهجه وشرعه، لأنه من جملة خلق الله عز وجل في هذا الكون الفسيح والملكوت العظيم، وهو ليس واحداً منفرداً بل هو مجرد مخلوق بسيط وهناك مخلوقات أعظم منه وأكبر قال سبحانه : ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[غافر] . وقال جل في علاه : ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ ﴾[النازعات] .

غير أن الإنسان يختلف عن باقي المخلوقات في هذا الكون بأنه مخلوق مستخلف في هذه الأرض مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿٣٠﴾ ﴾[البقرة] .

وهـذا الخليفـة قـد جعـل الله تعـالى مـن إيجـاده حكمـة أرادهـا منـه سـبحانه وهـي العبادة، ثم إنه عز وجل قبل أن يخلقه خلق له كل ما سينتفع به من أرض وسماء ونبات وماء وبهائم ومآكل، ثم إنه عز وجل قبل أن يخلقه وضع له منهجاً سمحاً وشرعاً قويماً ليسير عليه وليؤدي ما طُلب منه وكُلف به على أتم وجه وأحسنه .

وعلى هذا الأساس كان الواجب على هذا الخليفة الانقياد لمراد الله تعالى خالقه ومولاه وتطبيق شرعه ومنهجه لينجو بحق لأنه ليس له سبيل للخلاص إلا ذلك .

وبهذا يتبين أن لإنسان مجرد مستخلف في هذه الدنيا وهو خاضع فيها لحكم وقدر وتدبير من استخلفه، وهو الله سبحانه وتعالى الذي خلقه من عدم، وصنعه على وِفق هيئة أرادها سبحانه، وهو به أعلم وبنفسه أدرى لأنه من صنعته، وإذا كان صانع كل صنعة هو الأعلم والأدرى بها، وهو الذي جعل لها هدفاً لتقوم به فالله جل جلاله هو الأعلم بالإنسان وهو الذي خلقه من عدم وهو الذي وضع له حكمة وهدفاً معلوماً من خلقه له وأمره أن يقوم به .

فكان يجب على الإنسان التفطّن لذلك من أنه مخلوق مستخلف، ولوجوده في هذه الدنيا حكمة، وأنه وجب عليه السير على منهج من خلقه، فينقاد لمراده ليؤدي ما عليه لا أن يخرج عن مراد خالقه الذي استخلفه في هذه الأرض، وليعلم أنه متى خالف مراد ربه منه فلن يفلح أبداً لأن منهج الله تعالى هو بمثابة خريطة النجاة للسالكين كما لو كان تصميماً لهم من تبعه نجا ومن أهمله هلك .

وإذا كان كل البشر ولا سيما العقلاء قد اتفقوا على أن العاقل لا يعبث فهل يمكن أن يكون الله جل جلاله قد خلق السموات والأرضين وما فيهما لهواً ولعباً وعبثاً مجرداً من الحِكَم ! سبحانه وتعالى عما يصفون وفي الذكر الحكيم : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾[الدخان] .

وفي محكم التنزيل : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾[الأنبياء] . وفي أصدق القيل : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ﴿٢٧﴾ ﴾[ص] . فما قام أمر السماء والأرض بما وبمن فيهما إلا بإذن الله تعالى وبأمره وبقدرته وتقديره وبسلطانه وتدبيره .

– وفي المعجز الكريم قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ ﴿٤١﴾ ﴾[فاطر] . فدلالة هذه الآية أنه تعالى يمسك السموات والأرضين أي يحفظهما حفظاً مادياً محسوساً بقدرته وحفظاً معنوياً بإقامة شرعه ومراداته في هذه الدنيا، ومتى ضاع تحكيم شرعه فقد آذن الدنيا بالزوال والخراب .

– وفي التنزيل المحكم قوله عز وجل : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[البقرة] . فدلالة هذه الآية أن الله سبحانه هو الحي القيوم أي القائم بأمر عباده وبتدبير أمورهم وتصريف شؤونهم .

– والقول الصدق قوله جل شأنه : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴿٣٥﴾ ﴾[النور] . فدلالة هذه الآية أن الله تعالى هو نور أنار به كل شيء وبه اهتدى لمراده لذا كان من أسمائه وصفاته عز وجل النور .

كما أن حجابه عز وجل النور وفي رواية النار . وهو بذلك منوِّر السموات والأرض وما فيهن .

والجنة كلها نور على نور، وأكبر أنوارها هي أنوار الرحمن جل جلاله وتقدست أسماؤه وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا رءوسهم فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة قال وذلك قول الله (سلام قولا من رب رحيم) قال فينظر**

إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم)[ابن ماجة والدارقطني في الرؤية والبيهقي في البعث] . وفي رواية : (**بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور غلب على نور الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب قد أشرف عليهم** ...)[أبو نعيم] . وهذا من بديع صنع الله تعالى .

حقيقة تكوين الأجسام :

وقد اكتشف العلماء أن تكوين الأجسام هو من نور بالضبط . وحتى نفهم ذلك بشكل أوضح ! فقد تقدم معنا إن الضوء هو أسرع الأشياء في هذه الدنيا إذ تبلغ سرعته في الثانية الواحدة فقط (٣٠٠,٠٠٠) كيلو متر .

وذلك لأنه عبارة عن نور يمتد في الأفق وهذا يعنى أنه لا وزن له ولا كثافة ولا كتلة ولا قصور ذاتي[١] . وبما أنه أسرع الأشياء فقد اكتشف العلماء أن الأجسام كلما ازدادت سرعتها فإن ذلك يعني :

- زيادة السرعة يعني تناقص الوزن . فأي جسم متحرك يخف وزنه بقدر سرعته، وهذا معلوم فكلما أسرع كلما خف وزنه .

- زيادة السرعة يعني نقصان الكثافة . فالجسم كلما زادت سرعته كلما قلت كثافته وصار خفيفاً .

- زيادة السرعة يعني زيادة الكتلة . فالجسم المندفع كلما زادت سرعته كلما قَوِي ارتطامه وذلك دليل على زيادة الكتلة .

[١] القصور الذاتي هو قدرة الجسم المتحرك على التوقف .

– زيادة السرعة يعني زيادة القصور الذاتي . فالجسم المتحرك كلما زادت سرعته كلما صَعُب توقفه واحتاج لجهد ووقت ليتوقف .

– زيادة السرعة يعني تباطؤ الزمن . فالجسم المتحرك كلما زادت سرعته كلما تباطأ نتيجة لتلك السرعة وتباطؤه يكون بقدر سرعته، كما لو كان يسابق الزمن، وهذه حقيقة أثبتها العلم الحديث بالمعادلات الرياضية الصحيحة بشكل قطعي تماماً[1]، ليس مجال ذكرها هنا .

لذا فلا يمكن لأي جسم مهما كان أن يصل إلى سرعة الضوء أبداً، ولو أن جسماً ما وصلت سرعته لتلك السرعة المهولة مثلاً فإن ذلك يعني انعدام الوزن تماماً وانعدام الكثافة وانعدام الكتلة وانعدام القصور الذاتي، وبالتالي يتوقف الزمن عندئذ تماماً .

فبسبب تلك السرعة الرهيبة يكون وزن ذلك الجسم وكثافته حينها يساويان صفراً لأنه كلما تسارع كلما تناقص حتى يصل إلى الصفر . أما كتلته فتصير عندئذ لا نهائية وبالتالي لا قصور ذاتي له . وحينها يتوقف الزمان ويصل الجسم إلى اللا زمان .

وهذا يعني أن ذلك الجسم صار وقتها مجرد ضوء ونور لا وزن له ولا كثافة ولا كتلة ولا قصوراً ذاتياً، فهو حينها كما لو كان شعاعاً ليس إلا .

من ناحية أخرى فقد درس العلماء حقيقة تكوين الأجسام وكل الموجودات في الكون مما جرت عليه الدراسات فوجدوا أن كل شيء في الكون يتألف من عناصر، وهذه العناصر تتكون من جزيئات، وهذه الجزيئات المترابطة تتألف من ذرات، وهذه الذرات تتألف من نواة مركزية يدور حولها جسيمات صغيرة جداً، وعلى ذلك فكل

[1] أثبت هذه المسألة بالضبط وبالدقة المتناهية (ألبرت آينشتاين) في نظريته المشهورة (النسبية) من خلال معادلات رياضية دقيقة جداً .

الأجسام الموجودة في الكون تتألف من نفس البنية الواحدة، وأن الفرق بين الأشياء هو فقط بسبب اختلاف عدد الذرات وتكونها وترابط الجزيئات فيما بينها .

وهذه الذرة في حقيقتها تتألف من النواة وحولها فراغ يدور فيه جسيمات متناهية في الصغر اكتشف منها قديماً (الإلكترون والبروتون والنيترون) وظن العلماء آنذاك أنه لا يوجد سواها وأنها أصغر مكونات الذرة[1] .

ثم اكتشفوا لاحقاً جسيمات غيرها متناهية في الصغر أسموها (الكوارك) ثم اكتشفوا بعدها جسيمات أخرى أسموها (نيوترينو، وانتي نيوترينو، وبوزيتون، وميزون) كل هذه مكتشفات في الذرة، ثم وآخر ما توصل إليه العلماء في الذرة ما أسموه (باي ميزون) وهو أصغر جسيم اكتشف حتى الآن .

وهذا الجسيم الصغير جداً جداً وزنه يساوي صفر وباستطاعته أن يدخل الأرض ويخرج من الناحية الأخرى مرتين في أقل من جزء واحد على عشرة ملايين جزء من الثانية، وهو يتألف من حزم من الطاقة أي شعاع صغير جداً جداً جداً .

وعلى ذلك فقد قال العلماء : أن أصل كل الكائنات حقيقة هو مجرد حزم من الطاقة تؤلف تلك الجسيمات المتناهية جداً في الصغر، والتي بدورها تؤلف الذرات التي تكون الجزيئات التي تكوّن العناصر المنتشرة في الكون .

وإذن فحقيقة الخلق أنهم مجرد ضوء مكثف أو هو شعاع مؤلف أو هو نور منضغط، وبالتالي فحقيقة تكوين كل الكائنات هو النور . وهذا قد يفسر لنا أمر مهم جداً وهو أن أجسامنا في الجنة والله تعالى أعلم ستكون أجسام نورانية لا تتأثر بالزمن،

[1] قال العلماء : لو أن الفراغ في الذرة أزيل بحيث يتم رصّ النواة إلى جانب النواة مباشرة فإن عدد سكان العالم سينضغط في حجم يساوى علبة الكبريت . فسبحان الله العلي العظيم .

لأن الزمان سيتوقف في الجنة، وبمعنى أصح سيخلد أهلها فيها فلا يجري عليهم زمان ينقضي أبداً . وتلك الأجسام النورانية تناسب تلك الدار وأحوالها وأوضاعها وطبيعة الحياة فيها .

وكذلك هو الحال بالنسبة لأهل النار يصيرون فيها كما لو كانوا جزءاً منها فتألف أجسامهم النار والعيش فيها والله تعالى أعلم .

ونذكر أنه ورد معنا أن حجاب الله سبحانه وتعالى هو النور وفي رواية هو النار . فعلى ذلك تكون نهاية الأجسام البشرية هي إما إلى نور مستقره الجنة وإما إلى نار مستقره النار . والله تعالى أعلم .

إذن فالله تعالى نور وهو نور السموات والأرض وخلق الأجسام في حقيقة تركيبها من نور وستعود كذلك في يوم من الأيام في الدار الأخرى إلى نور . فسبحانه وتعالى عما يصفون .

ثم ليعلم الإنسان هذا المخلوق الضعيف الذي هذا هو تكوينه أنه كما جاء إلى الدنيا بغير إرادته فكذلك سيخرج منها أيضاً بغير إرادته، أي أنه لم يخلق بإرادته وكذلك لن يموت بإرادته بل هو محكوم بغيب لا يعلمه إلا الله تعالى من ميلاده وإلى وفاته، وكل ما خُوله في هذه الدنيا سيسلب منه وسيُرد للوهاب العظيم سبحانه وتعالى عما يصفون القائل جل شأنه : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴿٩٤﴾ ﴾[الأنعام] . وهذا يعني أنه كما دخل الدنيا وجاء إليها عارياً مجرداً من كل شيء فكذلك سيخرج منها بنفس الطريقة عارياً مجرداً من كل شيء[1] .

[1] لا يحق للإنسان أن يتكبر لأنه ليس فيه شيء ذاتي وإنما كل شيء فيه أو عنده هو هبة من الله تعالى، وكل موهوب هو عن قريب عنه مسلوب، فكيف يتكبر الإنسان . أما الله عز وجل فكان ولا بد أن

وكل أنواع النعم والعطاء في هذه الدنيا وما أوتيه الإنسان فيها ما هو إلا خول مُعار القصد منه الابتلاء يبتلي الله عز وجل به الإنسان، والله سبحانه كما يبتلي بالعطاء يبتلي بالحرمان، وكما يبتلي بالصحة والعافية يبتلي بالمرض، وكما يبتلي بالمال يبتلي بعدمه، وهكذا تتقلب الأحوال والمواقف والقصد من ذلك توافق تقلبات القلب بحيث تجري على الإنسان كل الأحوال فيُجرب فيها كلها ومن خلالها فسبحانه وتعالى عما يصفون .

ولهذا الأمر فليس العطاء في الدنيا هو بقصد التمليك المؤبد وإنما للابتلاء المؤقت، فالله عز وجل أعطى خلقه في هذه الدنيا ليبتليهم لا ليملكهم، وهذا يعني أن الخروج من الدنيا يعني ترك كل ما كان الإنسان يملكه فيها ثم إنه سبحانه سيجازيه به، وبالتالي على الإنسان الاستعداد للجزاء عليه بحسب فعله فيه في دنياه .

إذن فالله عز وجل في الدنيا أعطى الخلق لا ليملك، ثم إنه سبحانه أيضاً يسلب النعم منهم بالموت لا ليحرم، والأمر كل الأمر ليبتلي الخلق كيف يعملون ويصنعون بما أوتوا وبما حرموا في كل الأحوال والتقلبات، قال سبحانه في كتابه العزيز : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾[الملك] . وعلى ذلك :

– فلا تغتر يا ابن آدم بما في يديك لأنه ليس ملكك .

يتصف بالمتكبر لماذا ؟ لأن الله جل شأنه كل صفاته ذاتيه فيه وهو الغني سبحانه عما سواه . فلو لم يكن متكبراً جلت عظمته لكان نقصاً فيه وحاشاه عن ذلك جلت قدرته وتقدست أسماؤه .

فكونه هو المتكبر ثبت له بذلك كل صفات الكمال والجمال والجلال . وبالمعنى العام أثبت له الغنى المطلق عن كل أحد وأن صفاته ذاتيه فيه ليست موهوبة له ولا مسلوبة عنه أبداً بل هو سبحانه الغني المغني الوهاب العظيم . سبحانه وتعالى عما يصفون .

- ولا تغتر يا ابن آدم بما في يديك لأنه مسلوب عنك .
- ولا تغتر يا ابن آدم بما في يديك لأنه تخويل مؤقت وليس تمليك مؤبد .
- ولا تغتر يا ابن آدم بما في يديك لأنك ستبتلى به ولعله يكون وبالاً عليك .
- ولا تغتر يا ابن آدم بما في يديك لأنك ستحاسب عليه ولعله يوبقك .

دلائل العبودية :

وبالتالي فلا مُلك لأحد في هذا الكون ولا تصرف ولا تحكم ولا حكم إلا لله عز وجل، والله جلت عظمته بين لنا ذلك في كتابه العزيز المعجز حين بيَّن مدى عظمة ملكه وسعة ملكوته بينه سبحانه في اثني عشر أمراً ليس لأحد أو لأيّ معبودٍ آخر من دونه عز وجل أيُ شيء منها :

١- أثبت لنفسه سبحانه الربوبية فقال عز وجل : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ ﴿١٦٤﴾ ﴾[الأنعام] . وتتجلى عظمة الرب في أنه سبحانه كما أوجد الجميع واستدعاهم للوجود فهو عز وجل يتولى ويصرِّف ويدبر شؤون الجميع، وهو جل شأنه يعطي الجميع وعطاؤه هذا بلا استحقاق ولا أحقية لأحد أبداً، وإنما عطاء رب عظيم وهّاب كريم للمؤمن والكافر والبر والفاجر بحسب تقديره عز وجل وابتلائه لخلقه سبحانه في هذه الدنيا .

٢- أثبت لنفسه سبحانه الألوهية فقال تعالى شأنه : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[البقرة] . وقال عز وجل : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[القصص] . وتتجلى عظمة الإله أنه وضع لعباده خير منهج وشرع يكفل سعادتهم ويحقق مصالحهم ومنافعهم ولم يتركهم

هملاً بلا منهج ولا شرع يحكمهم ويسيرون عليه، وكلهم في ذلك التشريع سواء والكل ممن آمن به سبحانه وتمسك بشرعه يأخذ خيره وينتفع به، ومن أعرض عنه فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله تعالى شيئاً .

٣- أثبت لنفسه سبحانه الخلق فقال جل جلاله : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴿٤﴾ ﴾[السجدة] . وقال جلت عظمته : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾[الرعد ١٦] . وتتجلى عظمة الخالق أن كل شيء في هذا الكون من خلقه وتحت تصرفه، ثم إنه سبحانه قد أحسن كل شيء خلقه وأبدعه وأتقنه وجعله في أتم هيئة ليكون صالحاً للقيام بما كُلف به وأمر، على أتم وجه وأحسنه، وجعلها مناسبة كلاً بما يناسب عمله المنوط به في هذه الدنيا . فالخلق كل الخلق لله تعالى مما نرى ونسمع ونعلم ومما لم نر ولم نسمع ولم نعلم .

فكم هو خلق الله تعالى عدداً وقدراً كماً وكيفاً خلقاً ووجوداً . سبحان الله العظيم وبحمده . فمِن خلق الله تعالى، الخلق العظيم كالسموات والأرضين والشمس والقمر والكون الفسيح، ومن خلق الله تعالى الدقيق جداً جداً جداً كالذرة وما هو أدق منها[١] .

---

[١] أكتشف العلماء أن هناك كائنات متناهية في الصغر جداً جداً جداً فحسبوا أن ذلك فتحاً علمياً وسبقاً لا مثيل له، وما علموا أن القرآن الكريم قد سبقهم لذلك، ففيه آيتين دلتا على ذلك صراحة وهو قول الله جل شأنه : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾[يونس] .

وقوله عز سلطانه وجل في علاه : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ ﴾[سبأ] . فدلت هاتان الآيتان أن في خلق الله تعالى ما هو أدق وأصغر من الذرة، ولفظ

- أولم يقل سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز الحكيم : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨ ﴾[الأنعام] .

- أو لم يقل جلت عظمته : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦ ﴾[هود] .

- أو لم يقل جلت قدرته : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤ ﴾[الإسراء] .

٤- أثبت لنفسه سبحانه الملك والملكوت[1]؛ فقال عز وجل : ﴿ لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٢٠ ﴾[المائدة] . وقال سبحانه : ﴿ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ٨٩ ﴾[المؤمنون] . وتتجلى عظمة الملك في أنه مَلَك كل شيء فلا كائنٌ في هذا الكون إلا وهو تحت تصرّفه وسلطانه وهو مملوك لله جلت عظمته .

٥- أثبت لنفسه سبحانه الإحاطة فقال سبحانه : ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٦ ﴾[لقمان] . وقال عز وجل : ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ

أصغر يسبقه صغير، والمعنى أنه يوجد بعد الذرة خلق صغير لا يعلمه إلا الله سبحانه وبعد ذلك الخلق الصغير يوجد ما هو أصغر منه مما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى . فسبحان الخلاق العليم وصدق جلت قدرته القائل : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩ ﴾[يس] . وصدق جلت عظمته القائل : ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤ ﴾[الملك] .

[1] الملك الجزء المرئي من خلق الله تعالى والملكوت الجزء الخفي منه، الذي لا يعلمه إلا هو سبحانه .

﴿٢٨٤﴾ ﴾[البقرة] . وقال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ ﴾[البروج] . وتتجلى عظمة المحيط المطلع في أنه مع جميع خلقه أينما كانوا في كل مكان وفي كل زمان لا يفوته من أمرهم شيء وهو جل شأنه من وراءهم محيط بهم ومطلع على أعمالهم .

٦- أثبت لنفسه سبحانه العلم وأنه علام الغيوب فقال جلت قدرته : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾[الحجرات] . وقال سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[هود] . وقال عز وجل : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[الأنعام] . وتتجلى عظمة العليم علام الغيوب في أنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه عز وجل لا يغيب عنه شيء من أمور خلقه وعظيم ملكه في الأرض ولا في السماء مهما دق وصَغُر وإن كان مثقال حبة من خردل أو ذرة أو أصغر من ذلك قال سبحانه : ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ ﴾[سبأ] . ولا يعزب أي لا يغيب عنه شيء سبحانه وتعالى .

٧- أثبت لنفسه سبحانه القيومية والتصّرف والتدبير فقال تبارك وتعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[البقرة] . وقال عز وجل : ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴿٥﴾ ﴾[السجدة] . وتتجلى عظمة القيوم المدبر في أنه قائم على تدبير شؤون عباده وتصريف أحوالهم فما من شيء يحدث أو يكون في كونه وملكه سبحانه إلا وهو كائنٌ بعلمه وإذنه وتدبيره وتصريفه جل جلاله لا يخرج عن مراده شيء من ملكه أبداً .

٨- أثبت لنفسه سبحانه الزرق فقال جل شأنه : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ﴿٢٤﴾ ﴾[سبأ] . وتتجلى عظمة الرازق الرزَّاق في أنه تكفل برزق كل الخلق ولم يعجزه ذلك أبداً، ورزقه ذاك سبحانه بغير حساب، فكما أنه عز وجل أوجد الجميع فهو سبحانه كذلك قد رزق الجميع .

٩- أثبت لنفسه سبحانه القدرة فقال تعالى في آياتٍ كثيرة من كتابه العزيز : ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ . وتتجلى عظمة القادر القدير في أنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وأمر كل الخلق والملكوت تحت أمره وقَدَرِه وقدرته، ولا قادرٌ حقيقة إلا وهو يستمد قدرته تلك من الله تعالى منَّة منه سبحانه ومدد، ولا قدرة ذاتية لأحد إلا له سبحانه وتعالى وكل قدرة سواها هي في الحقيقة عطاء وهبة منه لمن شاء من خلقه عز وجل .

١٠- أثبت لنفسه سبحانه الإحياء والإماتة فقال جل شأنه : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ ﴾[الحج] . وتتجلى عظمة المحيي المميت في أنه المتفرد بذلك فلا قدرة لأحد على الإحياء والإماتة في هذا الكون إلا الله عز وجل .

١١- أثبت لنفسه سبحانه العظمة والعزة فقال جل جلاله : ﴿ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[الجاثية] . وقال تعالى في الحديث القدسي : (**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار**)[أبو داود وغيره] . وتتجلى عظمة الله تعالى وعزته في أنه غني عن كل شيء فلا ينتفع بعبادة خلقه له سبحانه، ولا يتضرر بعدم ذلك عز وجل مصداقاً لقوله تعالى في الحديث القدسي أيضاً : (**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا**

على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً . يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا)[مسلم] .

١٢- أثبت لنفسه سبحانه وتعالى البقاء فقال تعالى وتعاظم : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾[الرحمن] . ويتجلى بقاؤه عز وجل شأنه أن كل شيء دونه هالك، وقبل ذلك كل شيء في هذه الدنيا تجري عليه الأقدار والأحداث والمتغيرات فهو متغير يتأثر بالزمان والمكان إلى أن يأتي يوم تتغير حياته بموته ويلقى الله تعالى فيه .

- فسبحان الله العظيم[1]؛ الذي قهر العباد بالموت فمن منهم سيخلد، فليدفع عن نفسه الموت وسكراته متى حان أجله، فمصير كل حي إلى يوم موعود وأجل محتوم .

---

[1] معنى سبح أي نزه، فالتسبيح هو **التنزيه** من العيوب والنقائص فهو سبحانه الكامل **جل عن النقائص والعيوب**، ومعنى (سبح بالحمد) أي سبحه من حيث كونه هو **المحمود المستحق للثناء والحمد** لكماله ولجماله ولجلاله ولبهائه ولكبريائه ولعطائه ولتفضله على خلقه ولإنعامه على عباده كل ذلك يستوجب منا حمده وشكره دوماً وأبداً .

فهو سبحانه المستحق للحمد لكونه الخالق ولا خالق غيره، ولكل ما أعطى ويعطي لعباده، وبكل ما سخر ويسخر لخلقه، وإذا علمت أنه عز وجل هو المستحق للحمد لا سواه ولا شريك له في ذلك فسبحه ونزهه بما استحق وبما يستحق من كونه صاحب **المحامد كلها والمتفرد بذلك** . فكان التسبيح بالحمد هو أفضل التسبيح وأفضل الحمد، لأنه تسبيح بحمد وحمد بتسبيح . فجمع بين اثنين لا يستحقهما إلا واحد وهو الله سبحانه وبحمده وجل شأنه وتعالى وتقدس .

وبالمعنى العام تنزيه المتفضل علينا بالنعم المستحق للثناء لا سواه . فلا يقال لأحد مثلاً (سبحانك) مع أن المعبودات من دون الله تعالى كثيرة وكذلك لا يقال لأحد على وجه الحقيقة (الحمد لك) مع أن

المعبودات من دون الله سبحانه كثيرة وذلك لأن هذين الأمرين لا يصرفان إلا لله عز وجل تحقيقاً فسبحانك وبحمدك يا عظيم .

وقد أخذ التسبيح في القرآن الكريم كل الزمان تماماً ليظل التسبيح لله عز وجل دائم وغير منقطع ففي الماضي قال تعالى في عدة سور : ﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾ . ولم ينقطع التسبيح بذلك بل قال سبحانه في الزمن الحالي المضارع والمستقبلي أيضاً : ﴿يسبح لله ما في السموات وما في والأرض﴾ . وأيضاً لم يقف التسبيح بذلك بل قال جلت عظمته بصيغة الأمر : ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾[الأعلى] . وهذا التسبيح في كل الأحوال ليس هو قاصرٌ على الإنسان فحسب بل أن كل شيء في هذا الكون يسبح بحمد ربه عز وجل قال تعالى في ذلك : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤٤﴾[الإسراء] . فسبحان الله وبحمده وسبحان الله العظيم ما دام ملك الله تعالى أبداً .

ولذلك كانت آخر سورة نزلت من القرآن الكريم على رسول الله ﷺ هي سورة النصر قوله عز وجل : ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾[النصر] . وقد تضمنت آخر آية من هذه السورة أمر الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ بأمرين مهمين هما (التسبيح بالحمد والاستغفار) .

والمعنى أن الله تعالى يخبر رسوله الكريم ﷺ بحصول علامة ستقع وهي إتمام هذا الدين ومجيء وفود العرب إليك مسلمين لله تعالى فمتى حصل ذلك وتحقق (**فسبح بحمد ربك**) . ولذلك قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : (كان رسول الله ﷺ يكثر في آخر أمره من قول **سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب إليه** وقال **إن ربي كان أخبرني أني سأرى علامة في أمتي وأمرني إذا رأيتها أن أسبح بحمده واستغفره إنه كان تواباً فقد رأيتها** : ﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً﴾)[مسلم] .

وفي الحديث الآخر قولها رضي الله تعالى عنها : (كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده : **سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي**، يتأول القرآن يعني ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾)[متفق عليه] .

إذن فهذه الكلمة شأنها عظيم لما فيها من جمع أمرين لا يستحقهما إلا الله تعالى ولذلك قال فيها ﷺ حين سُئل أي الكلام أفضل فقال ﷺ : (**سبحان الله وبحمده**) وفي رواية قال ﷺ : (**أحب الكلام إلى الله ما اصطفاه الله لملائكته سبحان الله وبحمده**) وفي لفظ (**سبحان ربي وبحمده**) وفي رواية أنه ﷺ قال لأبي ذر رضي الله تعالى عنه : (**ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله** قال : أخبرني يا رسول الله قال : **إن أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده**)[مسلم] . وفي الحديث المشهور في بيان فضلها قوله ﷺ : (**كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**)[متفق عليه] .

فهي كلمة عظيمة يجب على المسلم أن يلزمها وأن يحرص عليها في كل صباح ومساء لما فيها من الأجر العظيم مصداقاً لقوله ﷺ : (**من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه**)[مسلم] .

ومن عطاء وفضل هذه الكلمة أيضاً قوله ﷺ : (**من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة**)[الترمذي والنسائي] . فلو أن المرء قالها مثلاً في يومه على الأقل (٢٠٠) مرة فقط في الصباح والمساء فهذا يعني أن له في الجنة (٢٠٠) نخلة في اليوم الواحد، وبذلك يكون له في كل شهر (٦٠٠٠) نخلة وفي السنة (٧٢٠٠٠) نخلة فكم يا ترى سيكون للمسلم في مدى عمره وكيف لو أنه كل يوم قالها أكثر من (٢٠٠) مرة . الله أكبر .

وهذه الكلمة هي من التسبيح الجامع الذي حرص عليها ﷺ ففي قصة أم المؤمنين جويرية رضي الله تعالى عنها حين خرج من عندها ﷺ بكرة (أي أول النهار) ثم رجع إليها بعد أن أضحى وهي جالسة فقال لها ﷺ : **ما زلت على الحال التي فارقتك عليها** قالت : نعم قال : **لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته**)[مسلم وغيره] .

إذن فهذه الكلمة كما تبين لنا من خلال هذه الأحاديث قد جمعت بين عدل الله تعالى وفضل الله سبحانه أي جانبي (العدل والفضل) أما جانب العدل فذلك لأنها كلمتان خفيفتان على اللسان وهي كذلك بالفعل، وأما جانب الفضل فمع كونها كذلك إلا إنها ثقيلتان في الميزان بفضل الله تعالى، فكانت النتيجة أنهما حبيبتان إلى الرحمن لأن فيهما تسبيح بحمد وحمد بتسبيح، ولذا اصطفاهما سبحانه وتعالى

– وسبحان الله العظيم الذي قهر العباد بالنوم فمن الذي لا ينام ليقاوم سلطان النوم إذن متى هجم عليه وأخذته سنته ونعاسه . والنوم هو موت أصغر يسلم المخلوق فيه روحه لربه عز وجل .

– وسبحان الله العظيم الذي قهر العباد بالخوف فمن منهم الذي لا يعتريه الخوف وتنتابه حالات الفزع والهلع .

– وسبحان الله العظيم الذي قهر العباد بالمرض فمن الذي ينجو منه فليدفعه عن نفسه إذن متى حل ببدنه وتملك جسمه وقيد حركته .

– وسبحان الله العظيم الذي قهر العباد بالهم والغم فمن الذي يسلم منهما وما ينتابه من هموم وغموم وكروب في دنياه تنغص عليه حياته وتذهب بسعادته فيها وتشغل باله دائماً حتى يموت ويرتاح من نصب الدنيا وعناها .

– وسبحان الله العظيم الذي قهر العباد بالجوع فمن الذي لا يجوع في يومه عدة مرات يظل طوال حياته يأكل ليعيش وإلا مات جوعاً، وكأن الجوع شغله الشاغل في دنياه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

– وسبحان الله العظيم الذي قهر العباد بالعطش فمن منهم يستطيع الصبر على الظمأ ليصبر إذن على فَقْد الماء . الماء الذي قيل فيه إنه (أهون موجود وأغلى وأعز مفقود)[1] .

لملائكته ليذكروه بها وبالتالي فكان جزاؤهما عظيم عند الله عز وجل . من كتيب (في ظلال الحمد) للمؤلف .

[1] يعتبر الماء سر الحياة بل هو سر من أسرار الكون، لذا قال سبحانه فيه : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الأنبياء] . أي أنه عز وجل جعل الماء هو أساس كل الكائنات الحية في هذه الدنيا، وفي الآية الأخرى قال جل في علاه أيضاً : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ﴿٤٥﴾ ﴾[النور] . وسواء معنى الآية أن كل حي مخلوق من الماء المعروف أو قصد به المني، لأن المني أصله من ماء أيضاً . وقد أثبت

العلم الحديث أن تكوين جسم الإنسان يحتوي على نسبة (٧٠%) من الماء . فسبحانه وتعالى عما يصفون .

ليس ذلك فحسب بل إن الله عز وجل وصف الماء بعدة أوصاف تدل على أنه عنصر شريف في ذاته قال تعالى في ذلك : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ ﴾[الفرقان] . فوصف جل جلاله الماء هنا بأنه ماء طهور . وفي الآية الأخرى يقول سبحانه : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا ﴿٩﴾ ﴾[ق] . وصف الماء المنزل من السماء هنا بأنه ماء مبارك . وبالتالي ففي الآيتين وصفين للماء فهو ماء طهور أي مطهر لغيره منقٍ ومنظف . وهو ماء مبارك أي فيه بركة للخلق، وهذا ملاحظ فلا رطب ولا يابس إلا وهو يعيش على الماء وصدق سبحانه وتعالى القائل : ﴿ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾[الحج] . وصدق جل شأنه القائل أيضاً : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[فصلت] .

بل وأكثر من ذلك فليس وجود الماء في حياة الإنسان فقط بل أن وجوده كان قبل أن يخلق الله تعالى الكون بما فيه وهذا مما يزيده تشريفاً يقول سبحانه في ذلك : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴿٧﴾ ﴾[هود] . أي أن عرش الرحمن كان على الماء والله تعالى أعلم بكيفية ذلك، المهم أن في ذلك دليل على شرف الماء وعلو عنصره، لذا جعل الله تعالى عرشه عليه وجعله مطهراً من كل شيء ولكل شيء .

ومن أبرز صفات الماء أنه لا صفة مميزة له، فيا للعجب لا طعم له ولا لون ولا رائحة وهذا من أخص خصائصه . وبالماء تمزج الأشياء وفيه تذوب وتتحلل وبه تتكون وتتركب . ولذلك كان الماء من أغرب الأسرار اللا معروفة في هذه الدنيا حتى الآن . وأيضاً كل الناس يشربون الماء ليعيشوا، فبه تقوم حياتهم، وبه يطهون طعامهم، ومنه يغتسلون وبه يستشفون، وبه يطرد المسلم عنه رجز الشيطان، ويقي نفسه ويتحصن به قال سبحانه في ذلك : ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾[الأنفال] . إذن فدلالة الآية أن الماء هو مطردة للشيطان وواقٍ للمسلم من وساوسه وهمزه ولمزه ونفخه ونفثه . ولذلك أمرنا ﷺ بأن نتوضأ متى ما غضب الإنسان بقوله ﷺ : (**إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ**)[أبو داود] .

والاستشفاء به له سرٌ عظيم آخر أيضاً يقول سبحانه وتعالى فيه لما ذكر شأنه أيوب عليه السلام فقال عز وجل له : ﴿ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ ﴾[ص] . ففي الآية دلالة على أن الاغتسال بالماء هو شفاء، ولا سيما بالماء البارد لما له من خاصية، فهو أثقل من الماء الحار وله سر عجيب .

ولذا أمر سبحانه وتعالى عموم عباده بالوضوء خمس مرات في اليوم والليلة على الأقل لما فيه من وقاية من الشياطين وعموم الوساوس ولا سيما غسل الأعضاء التي هي أكثر عُرضة للمس، هذا فضلاً عن كون الماء يطهر الجسم من جميع الأوساخ والأدران البدنية الظاهرة والباطنة .

إذن فللماء تأثير بالغ يقي الله تعالى به الإنسان من عموم الأمراض . وكل هذا من الناحية العلمية الإعجازية أما من الناحية الكيميائية فقد قال العلماء أن الماء مكوَّن من عنصرين هما (الهيدروجين والأكسجين) برابطة معينة بين جزيئات العنصرين . وبالتالي فقد اكتشفوا أن الماء المقروء عليه القرآن الكريم تزيد قوة تلك الروابط فيما بين تلك الجزيئات مما يزيد الماء فعالية ووقاية، فلا يتخلله شيء، فيطرد الجن والشياطين . فسبحانه وتعالى عما يصفون .

وهذا ليس بمستغرب أبداً إذ إن من أسماء الله تعالى وصفاته النور (وقد تكلمت عن هذه النقطة سابقاً)، والقرآن الكريم هو كلام الله سبحانه المنزل فهو نور حقيقة، وحين يُقرأ على ماء وصفه سبحانه بأنه مبارك وطهور، يمد القرآن الكريم ذلك الماء بنور من نور الله تعالى فيكون له ولا شك تأثير بالغ وكبير وقاية وحصناً . وهذا التأثير هو موجودٌ علمياً وليس تأثيراً إيمانياً فقط .

وإذا كان قد ثبت علمياً بأن شعاع الليزر، وهو مجرد حزم من الضوء والنور يقصّ الحديد ويقطعه رغم قوته وصلابته، وهو مجرد خلق من خلق الله تعالى، فكيف بالقرآن الكريم وتأثيره وهو كلام الله تعالى، وأثره من أثر الله سبحانه ونوره من نور الله عز وجل . سبحانه وتعالى عما يصفون .

وزِد على كل ذلك أيضاً . فليس الماء هو في الدنيا فقط بل وحتى في الجنة نجد أن الله تعالى يذكر الماء وأنه من أعذب الشراب البارد المستساغ فيها قال جل شأنه في عدة آيات منها قوله سبحانه : ﴿ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ ﴿١٥﴾ ﴾[محمد] . وغير آسن أي غير منتن متغير الريح .

وقال سبحانه أيضاً : ﴿ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ﴿٣١﴾ ﴾[الواقعة] . وقال جل جلاله أيضاً : ﴿ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾[الإنسان] . وقال تعالى شأنه في عدة آيات من القرآن الكريم : ﴿ جنات تجري من تحتها

– وسبحان الله العظيم الذي قهر العباد بالبلاء فمن الذي لا يبلى ويبتلى فليدفع عن نفسه البلاء إذن متى نزل به وليتخلص منه إن استطاع .

– وسبحان الله العظيم الذي قهر العباد بالضعف فمن الذي لا يضعف وتمر به وعليه حالات الضعف والوهن والاستكانة والتسليم الكامل للقدرة الإلهية لأنه لا يستطيع فعل شيء من دون الله تعالى، ولا يستطيع أحد النفاذ من حدود سلطان الله سبحانه وقهره جل جلاله .

– وسبحان الله العظيم الذي قهر العباد بالأعداء فمن من الخلق في هذه الدنيا ليس له أعداء فيها !

الأنهار﴾ . بل وحتى في النار ذكر عز وجل لنا الماء ووصفه بعدة أوصاف قال فيها سبحانه : ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ ﴿١٧﴾﴾[إبراهيم] . وقال عز وجل أيضاً : ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾[الكهف] .

وقال أيضا جلت عظمته : ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾[محمد] . وقد قال العلماء أن الماء الموجود في الطبيعة خمسة أقسام هي :

– الماء الأجاج . وهو المالح كماء البحار .

– الماء النجس . وهو كل ماء خالطته نجاسة فلا يستفاد منه .

– الماء الآسن . وهو الكدِر الذي تغيرت أحد أوصافة الثلاثة الطعم واللون والرائحة لكنه يستفاد منه .

– الماء العذب . وهو الزلال الفرات السلسبيل المعين . ويقصد بالزلال الصافي، ويقصد بالسلسبيل غاية السلالة، ويقصد بالفرات العذب، ويقصد بالمعين المرئي يخرج من عيون الأرض فتراه عيون البصر .

– الماء المحترم . وهو ماء المطر الطهور وماء زمزم المبارك .

وإذن فالماء سر عجيب من أسرار الخلقة حقيقة، فهو أساس خلق كل الدواب والكائنات الحية وهو سر الكون وبه تقوم الحياة، وهو موجود قبل أن يوجد الكون وهو أيضاً في الدنيا وفي الآخرة وفي الجنة وفي النار . فسبحانه وتعالى عما يصفون .

أعداء الإنسان :

وأول الأعداء هي نفسه الأمارة بالسوء مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ ﴿٥٣﴾ ﴾[يوسف] .

وثاني وثالث الأعداء قد تكون الزوجة والأولاد مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ ﴿١٤﴾ ﴾[التغابن] .

ورابع هؤلاء الأعداء قد يكون من الأصدقاء والأخلاء مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[الزخرف] .

والخامس من الأعداء هو الشيطان الرجيم الوسواس الخناس مصداقاً لقوله جلت عظمتـــــه : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[فاطر] . فإذا كان الإنسان في حياته الدنيا محاطاً بالأعداء من أقرب المقربين له وإليه، فنفسه عدوه الأول، ثم زوجته قد تكون عدوة له ثم ولده قد يكون عدواً له، ثم أصدقاؤه الأخلاء أي المقربين منه قد يكون منهم من هو عدو له، وكل هذا قبل الشيطان عدوه اللدود الذي لا يفتر عنه ولا يكل ولا يمل وهو يغويه ويوسوس له ويزين له حتى يهوي ويسقط في الشهوات والشبهات .

والعجيب أن كل هؤلاء الأعداء ليسوا ظاهري العداوة، والمعنى أن الإنسان قد ينجر خلف تزيين نفسه له أو خلف تزيين زوجته أو أولاده أو أصدقائه له، فيرتكب الباطل والشر، وكل هذا قبل تزيين ووسوسة شيطانه له .

هذا فضلاً عن الأعداء الآخرين الذين علم الإنسان عداوتهم فاتخذهم أعداء ظاهرين . ولهذا كله كان ولا بد للإنسان من منهج حق يحميه من فساد نفسه وهواها وغيها أولاً ثم يحميه من باقي أعدائه الظاهرين وغير الظاهرين .

وعندئذ فكان ولا بد من أخذ ذلك المنهج من غير مساوٍ للإنسان، لأن جنس الإنسان بوجه عام معرض للفتنة ولا يؤمن عليه التأثر بها أو بأحد تلك العداوات . وبالتالي فمن يا ترى هو الأحق والأجدر أن نأخذ المنهج الحق عنه ومنه إن كنا قد اتفقنا بأن الإنسان هو أعلى الخلق رتبة في هذا الكون .

فعلى ذلك ما بقي إلا رب الكون رب الإنسان ورب العالمين أجمعين الذي خلق والذي رزق والذي شرع والذي أمر الخلق بالعبادة والطاعة لنفعهم لا لنفعه سبحانه وتعالى عما يصفون .

فمنهجه تبارك وتعالى هو المنهج الصحيح الحق، ودينه هو الدين الحنيف الحق، وشرعه هو الشرع القويم الحق، وهو سبحانه وتعالى الرب الإله الملك الخالق الرزاق الحق له الأسماء الحسنى والصفات العلى تبارك وتعالى وسبحانه وتعالى عما يصفون .

ومن رحمة الله تعالى بنا أنه سبحانه لم يتركنا في هذه الدنيا هملاً تتخطفنا الأهواء، كلا ! وإنما أرسل لنا رسلاً وبعث فينا أنبياء عليهم الصلاة والسلام ليقوموا بمهمة الدلالة عليه وعلى منهجه الحق، وأيدهم جل شأنه بالمعجزات الدالة على صدقهم كل نبيٍ بما يظهر صدق دعوته، وأيدهم أيضاً بمعجزات كونية دالة على قدرته وعظمته بما لا يدع مجالاً للشك في أن الله تعالى هو الواجد الماجد الخالق الرازق صاحب الأمر كله .

وهذا الكون أكبر المعجزات الظاهرات والآيات البينات الدالة على تلك القدرة، فما من شك في أن من أوجده وأبدعه وصرّفه ودبّره أعظم منه وأكبر وله صفات جليلة تفوق الوصف والتصور والتخيل لأنها صفات خالق لم نره وكل ما نراه في هذا الكون هو من جملة الخلق المخلوق، وبلا شك فلا يستوي الخالق والمخلوق أبداً لا ذاتاً ولا صفاتاً ولا قدرة أبداً .

وإذا كان العقل البشري قد عجز عن فهم وإدراك حقائق بعض مخلوقات الله تعالى في هذا الكون، فكيف بالخالق العظيم ! هل سيدرك العقل البشري القاصر شيئاً عن ذات الله تعالى أو صفاته ! سبحانه وتعالى عما يصفون .

ولو ألتفت الإنسان من حوله في هذا الكون الفسيح لوجد أن كل ما حوله من مخلوقات وموجودات في هذا الكون تعود إلى أربعة أصناف هي (الجماد والنبات والحيوان والإنسان) . وهذا بالضبط ما بيَّنه قول الله عز وجل في كتاب العزيز : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[غافر] . لاحظ ! ففي هذه الآية لم يرد حكمٌ شرعي، والمعنى أن لفظ العلماء هنا يستغرق شتى مجالات العلم، وبالتالي فهو لفظ يستغرق كل العلماء في كل المجالات ولو من غير المسلمين، علماء الجماد علماء النبات علماء الحيوان علماء الإنسان وليس علماء العلوم الشريعة فقط، ولماذا العلماء ؟ لأنهم وقفوا على ما لم يقف عليه غيرهم من الناس من أمور ومعجزات واكتشافات باهرات تجعلهم يخشون الله تعالى حقاً ويلهجون بتسبيحه على الأقل حين يقفون على أي شاهد من شواهد القدرة والعظمة الإلهية تلك .

والمقصود أن الإنسان كلما أعمق في التأمل، وأوغل في التدبر، ودقق النظر، وأعاد الفكر في هذا الكون الفسيح، تجلت له عظمة الله تعالى وتكشفت له من حقائق القدرة والعظمة الإلهية ما الله به عليم .

وهذا يعني أن الإنسان كلما جرّد فكره وتدبر وتأمل ونظر ببصيرته، وابتعد عن الأهواء والشهوات والشبهات كلما عرف الله تعالى أكثر فيعظمه حق التعظيم .

وهو مع كل ذلك مهما تفكر وتدبر وتأمل واعتبر واتعظ وقلَّب فكره ونظره فلن يصل إلا إلى شيء بسيط جداً عن عظمة الله تعالى وقدرته وحقيقة ذلك . والعكس صحيح أيضاً فكلما انغمس في الأهواء والشهوات والشبهات، وارتكس في المعاصي والآثام والمنكرات، تجده جهل قدر ربه عز وجل، وغفل عن عِظم مقام ربه جل شأنه، وإلا لما تجاوز حدوده التي بيّن سبحانه لعباده ولما تجرأ على ارتكاب الذنوب والمعاصي وكأن الله تعالى ليس برقيب عليه ولا بحسيب له، وهذا كله نتيجة الغفلة والجهل نعوذ بالله تعالى من ذلك مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾[النازعات] .

وهذا ما غرّ الإنسان فجعله لا يقيم حرمات الله تعالى ولا يراقب أفعاله الصادرة عنه، ولا يحاسب نفسه وأقواله وأفعاله ولو أنه استحضر رقابة ربه عليه، واستحضر نظره إليه، واستحضر حسابه له، ومجازاته على عمله يوم الدين، لما تطاول وعصى وفسق وفي الحديث القدسي كما في الأثر عنه تبارك وتعالى : (**يا عبادي إن كنتم تعتقدون أني لا أراكم فالخلل في إيمانكم وإن كنتم تعتقدون أني أراكم فلم جعلتموني أهون الناظرين إليكم**)[ذكره ابن عجيبة الأنجري في تفسير الآية (٦١) من سورة يونس، والآية (٣٣) من سورة الرعد، والشعراوي في تفسيره للأية (١٦) من سورة آل عمران، وغيرها] .

يا من تعالى فوق العرش مستوياً ... أبدعت يا بارئاً كوناً من العدم
فمن صنيعك ذراتٌ دقيقاتٌ ... ومن صنيعك أفلاك ذُرا العِظَم
ومن صنيعك ما بين الصنيعين ... حكيم خبير بكل الخلق ذا علم

ومن صنيعك هذا البحر ملتطماً ومن صنيعك الصحراء والأكم
ومن صنيعك أشجار عظيمات ومن صنيعك القيعان والقمم
ومن صنيعك أنهار وأزهار ومن صنيعك الينبوع والحِمم
ومن صنيعك ضوء الشمس والقمر ومن صنيعك لمع الشهب والنجم
ومن صنيعك أقدار وألطاف فلا وصب يدوم كذا ولا ألم
ومن صنيعك شراب الشهد ألواناً فيه الشفاء من الأدواء والسَقَم
ومن صنيعك زلال نرتوي منه به الحياة في دار الظلم والظيم
ومن صنيعك الوجهان حثهما يفنى الزمان بصرمهما إلى عدم
ومن صنيعك الأنعام تذليلاً ومن صنيعك هواء الجو للنسم
ومن صنيعك الأحياء والأموات ومن صنيعك قلب الخلق في المنَمِ
ومن صنيعك سماوات سطيلات ومن صنيعك الخضراء ذات طمِ
ومن صنيعك الإنسان مختاراً بين البدائل طريق النور والظُلَم
ومن صنيعك الأرواح أجناداً ما كان منها على عُرف فمُنسجم
ومن صنيعك القرآن منهاجاً يهدي العباد لكل الخير والسلم
به النجاة بدار لا بقاء لها أو نار هاوية تصلي من بها حمم
ومن صنيعك غذاء الروح إيمانٌ يحيا به المرء لله الواحد الحكم
ومن صنيعك سقاء الغيث مدراراً ومن صنيعك سود البيد كالعلم
ومن صنيعك إحياء الموات كذا ومن صنيعك إنبات من العدم
ومن صنيعك لبن خالصاً أبداً كيف استسيغ من بين فرثٍ ودمِ
ومن صنيعك جنات وروضات فوق البسيطة فيها القلب يستجم

ومـــن صـــنيعك ألســـنة وأجناســـاً وأشـــكالاً وألوانـــاً مـــن الأمـــم
ومـــن صـــنيعك الأفهـــام موهبـــةً ومـــن صـــنيعك الأكيـــاس والخـــرم
ومـــن صـــنيعك الآمـــال حـــافزةً لـــولا مـــداها أصـــيب المـــرء بالســـأَم
فمـن صـنيعك جمـال الكـون إبـداعاً قـدرت أقـداراً بتقـدير العلـم والحِكَـم
ومـن صـنيعك وجـوداً لا مثيـل لـه هـذا خلـق الله إيجـاداً مـن العَـدَم
فلـك المحامـد رب الكـون أجمعهـا عدد الخلائق ورضا النفس يا حكم
زنـــة لعرشـــك يـــا رحمـــن ومـــداداً لكلماتك الوفرى أبد الدهر مستدم
حمـداً يليـق بجـلال وجهـك البـاقي وعظـيم سـلطانك لا يحـدد بـه رقـم

والمحصلة أن دلائل العبودية المذكورة هي خالصة لله تعالى على وجه الحقيقة، تفرَّد به سبحانه عن كل أحد، ولم يتوفر أيَ واحد منها في أي معبود من دونه جل شأنه، فهو عز وجل الرب والإله والخالق والملك ذي الملكوت والمحيط المطلع والعليم علام الغيوب والقيوم على شؤون عباده المصرف المدبر والرازق الرزَّاق والقادر القدير والمحيي المميت العزيز العظيم الباقي، ثم إنه تبارك وتعالى عدَّد لنا في كتابه العزيز صفاته الأخرى وهي كثيرة ولا متناهية سبحانه وتعالى عما يصفون، كما بيّن لنا رسوله الكريم ﷺ بعضاً منها في السنة النبوية المطهرة .

أسماء الله تعالى وصفاته :

وهذه الأسماء والصفات هي التي تدلنا على تلك الذات العليا العليّة، ذات العظمة اللا متناهية، لأن الصفات كلما تعددت دلت على عِظم الموصوف وبينته لنا فنتعرف

عليه من كل وجه، بكثرة صفاته فنعرف كيف نعامله من خلالها وبالتالي يُتقى غضبه وما يسخطه ويطلب خيره وجزيل فضله سبحانه وتعالى عما يصفون .

وصفات الله تعالى ليست كصفات البشر فهي صفات عُليا ليس لها حد ولا يحيط بها الخلق لأن مبنى خلقتهم قصور التصور على ما يعلمون مما يرون ويشاهدون وما سوى ذلك فهو غيب مستور عنهم ليس بمقدور عقولهم إدراكه قال العزيز في قيله : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورى][1] .

- فكل صفة تدل على كمال هي من صفاته سبحانه وتعالى التي لا حصر لها، وما تعلمه الإنسان هو مجرد قدر يسير منها فقط، كصفات الملك القدوس العزيز السميع البصير الخبير الفتاح الرزاق الجليل الغني وما إلى ذلك، هذه الصفات على المسلم أن يتصف بها بما يحقق مراد ربه سبحانه منه في دنياه، لكن ليعلم أنه ليس له فيها مطلق القدرة لذاته، إذ ليس ذلك إلا لله جلت قدرته لا سواه[2].

- وكل صفة تدل على جمال هي من صفاته سبحانه وتعالى التي لا حصر لها، وما تعلمه الإنسان هو مجرد قدر يسير منها فقط، كصفات الكريم الرحيم الحليم الحكيم الودود الغفور الشكور الوهاب السلام المجيب وما إلى ذلك، هذه الصفات على المسلم أن يتصف بها في كل أحواله، لأنها لله سبحانه على وجه الكمال المطلق، وهي للمخلوق على وجه التخلق بها بالخلق الحسن .

---

[1] أسماء الصفات هذه لها قدر مشترك بين الخالق والمخلوق، بحيث يمكن أن يتسمى بها البشر ولهم منها قدر الاسم فقط، كاسم : (كريم، رحيم، قوي، محسن، عزيز ...) . لكنها لله عز وجل بالكمال المطلق .

[2] كأن يكون المسلم ملكاً على جوارحه بما يرضي ربه تعالى، قدوساً منزهاً من النقائص، عزيزاً في نفسه مترفعاً عن الخزايا، سميعاً بصيراً لمراد ربه، خبيراً بشرع دينه، فتاحاً للخير، جليلاً عن الدنايا في تصرغاته، غنياً بدينه عن كل أحد سوى الله تعالى . وهكذا . عليه التخلق بصفات تهذب سلوكه وتقوّم جوارحه .

– وكل صفة تدل على جلال هي من صفاته سبحانه وتعالى التي لا حصر لها، وما تعلمه الإنسان هو مجرد قدر يسير منها فقط، كصفات الجبار المنتقم المتكبر القهار الخافض الرافع المعز المذل الخلاق البارئ المصور وما إلى ذلك، هذه الصفات على المسلم أن يجتنبها بكل حال، لأنها لله سبحانه على وجه القدرة المطلقة؛ لا تليق إلا له جل ربنا في علاه .

وإجمالاً على المسلم دوماً تعظيم ربه عز وجل لا بحسب تفكيره المحدود الضئيل ولا بحسب عقله الضعيف القاصر وإنما بحسب عِظم مقام الله تعالى وما كُشف لنا من مدلول أسمائه وصفاته عز وجل، وبما نراه من آثاره وبديع صنعه سبحانه وتعالى في هذا الكون الفسيح .

وبما علمنا عز وجل في كتابه العزيز بما ورد فيه من **أسماء وصفات**، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الأعراف] . والحسنى أي بالغة الحُسن في المعنى والمدلول والتي لا يمكن أن يتطرَّقها نقص من أي وجه كان ولا يشاركه فيها أحد، وهي لله تعالى على التحقيق أي أنها دالة على صفات حقيقية له عز وجل بالكمال المطلق له جلت عظمته وتقدست أسماؤه .

وبما علمنا رسوله الكريم ﷺ بقوله : (**إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة غير واحدٍ، من أحصاها دخل الجنة، هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف،**

الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرءوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور)[الترمذي والحاكم وابن حبان والبيهقي في الأسماء والصفات وغيره][1]. وأحاديث أخرى غيره .

قيل في معنى هذا الحديث النبوي الشريف أن كل أسماء الله تعالى الأخرى من غير هذه المذكورة فيه وهي كثيرة وبلا حصر كلها تؤول إليها من حيث المعنى والمضمون، وبالتالي فليس المقصود من الحديث بيان أن عدد أسماء الله تعالى وصفاته عز وجل فقط (٩٩) من حيث العدد والحصر، وإنما من حيث المعنى والمضمون الذي يؤول إليه كل اسم سواها . والله تعالى أعلم .

وبالتالي فهذه الأسماء والصفات الواردة فيه ليست هي كلها إجمالاً من حيث البيان، فهناك أسماء وصفات غيرها وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قدّر بعض العلماء عددها بـ (١٣٧) أسماءً وصفة لله عز وجل .

---

[1] ورواية الصحيحين المتفق عليها قوله ﷺ : (**إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة**) . ومن أحصاها أي من تعلمها ومن ثم عمل بمقتضاها وبمدلولها إيماناً وتصديقاً وعزماً أكيداً دخل الجنة، ومن ذلك أن يدعو بها ويسأل ربه عز وجل بمدلول كل اسم منها .

بل أنه عدَّها بعضهم أكثر من ذلك حيث أدخل الأسماء المضافة إلى أفعال كـ (شديد العقاب، سريع الحساب، ذو البطش الشديد، ذو الأخذ الأليم، فالق الحب والنوى، فالق الإصباح، عالم الغيب والشهادة، علام الغيوب) وكذلك أسماء الأوصاف أو المسندة إلى أفعال كـ (الحَفِي، المستعان، الكفيل، المحيط، المهِن، المكرم، الأعلى، المصطفي، المجتبي، الميسِّر، المدبر، المنان، الكاشف، الكافي، الغافر، المرشد، الرفيق، الصادق، الخلاق، المحسن، القريب، الشاهد، الناصر، الحافظ، المتوفي، النصير، الشاكر، الأحد، المعطي، العاطي) وهكذا .

لذا جاء في الحديث النبوي الشريف الآخر قوله ﷺ : (... **أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك** ...)[أحمد والحاكم والبيهقي في الأسماء والصفات وغيره والهيثمي] . يبين هذا الحديث أن أسماء الله تعالى وصفاته عز وجل لا يعلمها إلا هو جل شأنه وتقدست أسماؤه، منها أسماء سمى بها نفسه سبحانه وهو أعلم بها . ومنها أسماء أنزلها في كتابه العزيز فعرفنا منها ما تفهمته عقولنا من حقيقة مداها وسعة معانيها بما ظهر لنا وأدركناه . ومنها أسماء علمها عز وجل بعض خلقه فالله سبحانه أعلم بها . ومنها أسماء استأثر بها في علم الغيب عنده جلت عظمته هو أعلم بها جل ربنا في علاه . أسماء لا يعلمها على وجه الحصر إلا الله تعالى .

فما هي يا ترى حقيقة تلك الذات العليا ذات الأسماء الحسنى والصفات العلى اللا محدودة واللا معدودة ! وكم هي تلك الأسماء والصفات يا ترى !

هي بلا حد ولا عدّ بالتأكيد، والواجب ألا تكون أسماؤه وصفاته محدودة محصورة، وذلك لحكم جليلة عظيمة . منها :

١- حتى لا تكون جوانب الكمال والجمال والجلال المطلقة محصورة بعدد تلك الأسماء والصفات المذكورة .

٢- ترك لنا المولى عز وجل مجال الاجتهاد في ذكره بأسماء وصفات له سبحانه بلا عدّ ولا حدّ، وهذا يأتي من باب قوله ﷺ : (**أو علمته أحداً من خلقك**) .

٣- معرفة ربنا جل في علاه وجوانب العظمة البالغة والقدرة المطلقة له سبحانه من كل وجه وبكل اسم وصفة له جل شأنه، فنعبده جل جلاله حق عبادته بما ظهر لنا من حقائقها . سبحانه وتعالى عما يصفون .

والمحصلة ومن خلال ما وقفنا عليه وما تعلمناه أخذاً عن ربنا جل في علاه، وأخذاً عن رسوله الكريم ﷺ من أسماء حسنى وصفات عليا جليلة، تكفي لأن تدلنا على أن ذاته عز وجل لا تشبهها ذات وأن صفاته تعالى شأنه لا تماثلها صفات مصداقاً لقوله جلت عظمته في محكم التنزيل : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨ ﴾[طه] .

فمتى عرف الإنسان عِظَم تلك الأسماء الحسنى والصفات العُلى وعظيم معانيها ومدلولاتها وفضلها، لزمه أمران هما :

١- تعظيم الله تعالى على قدر تلك المضامين والمدلولات، وبقدر ما عرف منها وما ثبت له من حقائقها .

٢- سؤال الله تعالى بها دوماً لأن من خلالها نعرف ربنا جل جلاله بأسمائه وصفاته العليا الجليلة ونتقرب منه وإليه عز وجل من خلالها مصداقاً لقوله جل في علاه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ ١٨٠ ﴾[الأعراف] .

فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين

وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم

عرفتـــك يـــا الله بآثـــارك الـــتي ... تجلـت لنـا في الكـون تقـديراً مقـدرا
تُصـرِّف ذا الملكـوت صـرفاً محكمـاً ... تـــدبره أبـــداً لا منـــه أخـــيرا
إزارك عظمـــة ردائـــك كبريـــا ... ونـــورٌ وظلمـــةٌ حجابـــاً مســـترا
علـــيٌ مكانـــك عظـــيمٌ شـــأنك ... سميعـــاً ومبصـــراً للخلـــق والـــورى
لـك الملـك كلـه فـلا شـيء كـائنٌ ... إلا بقـــدرتك وعلـــمٌ قُـــدِّرا
ولا يعـــزب عنـــك مثقـــال ذرة ... في أقصـى ملكـك ولا منـه أصـغرا
تمـد جميـع الخلـق بآلائـك الـتي ... تفـــيض بعـــالمهم فيضـــاً أغـــزرا
وضـعت لنـا الميـزان بالقسـط قائمـاً ... بمنهجـــك الأعلـــى قويمـــاً ميســـرا
رحمـت جميـع الخلـق وتعفـو عـنهمُ ... تسـارع لهـم في الخـير لا الشـر الأقصـرا
ثـلاث هـي الأسـباب للرحمـة الـتي ... شـرعت لكـل الخلـق دربـاً أخضـرا
رجـاءٌ ومحبـةٌ وخـوفٌ مـن الـرحمن ... علـى عرشـه اسـتوى لا عـن تجـبرا
فنرجـوك يـا حنـان ونخشـاك يـا جبـار ... ونُحـــب لُقيـــاك نحمـــدك ونشـــكرا
لـك الحمـد يـا الله حمـداً مُكَمَّـلاً ... يليـــق بعظمتـــك لا فيـــه آخِـــرا
حمـــداً متواليـــاً بعـــدد الخلائـــقِ ... وإرضـاءً لنفسـك وبـالقلم ومـا جـرى
وزنـــةً لعرشـــك تعظيمـــاً لشـــأنك ... بحـــوراً وأنهـــاراً آبـــاداً وأدهـــرا
لـك الحمـد يـا عـلام البـارئ الـذي ... تنشّـــئ في الأرحـــام خلقـــاً مصـــورا
لـك الحمـد لا معـدود ممـدودٌ دائمـاً ... الى يـــوم نلقـــاك في الـــدار الآخـــرا
لـك الحمـد لا يفـنى كمـا أنـت أهلـه ... يظـــل كـــذاتك حمـــداً أعطـــرا
لـك الحمـد كيـف نقـول وأنـت المعلـم ... يـا خـير مـن يُـدعى ليـاليَ وأنهـرا
عرفتـــك يـــا الله بأسمائـــك الـــتي ... هـي الحسـنى علـى التأبيـد لا تتغـيرا
عرفتـــك يـــا الله بصـــفاتك العلـــى ... فـلا كـم يحـيط بهـا ولا عَـدُّ حاصـرا
لـــك الحمـــد يـــا الله كثـــيراً طيبـــاً ... حمـــداً منزهـــاً عظيمـــاً مـــوقرا

والدعاء بتلك الأسماء الحسنى والصفات العلى يكون بمعرفة قدر كل اسم ومدلوله وطلب الله تعالى به . أما مدلولها فبحسب ما علم الإنسان من فيوضات الله تعالى على خلقه وبما علَّمهم هو سبحانه وعرفهم نفسه بمعرفة صفاته، التي لا تقف عند حد ولا يحيط بكمالها عقل، والناس في معانيها يسبحون ومن معينها ينهلون . فمن حقائق وجوانب عظمة تلك الأسماء الحسنى والصفات العلى :

١ – الله : وهو اسم يدل على الذات العلَّية التي أحاطت بكل شيء قدرةً وعلماً ولها كل صفات الكمال والجمال والجلال . سبحانه وتعالى عما يصفون .

وقد ورد هذا الاسم العظيم في القرآن الكريم (٢١٥٣) مرة في (١٥٦٦) آية، منها (٢٢٠) آية ابتدأت بلفظ الجلالة، منها (٥) آيات أضيف إليه ضمير الطلب وهو اسم (اللهم) . وهذا الاسم (الله) يعرف باسم الذات، أي الذي يدل على ذات الله تعالى ولا يشابهه فيه أحد، ولا يتسمى به أحد، فهو خاص به جل جلاله، خالص له أبداً . وينبثق عن هذا الاسم (الله) نوعان من الأسماء والصفات :

أ– أسماء وصفات تدل على الربوبية[1]. وقد ورد اسم الرب في القرآن الكريم قرابة (١٠٤٥) مرة بكل تصريف الكلمة (رب، ربك، ربه، ربهم، ربكم، ربنا) .

ب– أسماء وصفات تدل على الألوهية[1]. وقد ورد اسم الإله في القرآن الكريم قرابة (١٠٦) مرات بكل تصريف الكلمة .

[1] كلمة الربوبية تدل على الرب المربي . ولهذا فمدلولها يعني (العطاء) والمعنى أن الله تعالى هو خالق الجميع ورب الجميع ومعطي الجميع ورازق الجميع ومصرف ومدبر الجميع . فلا رب للكون سواه سبحانه وتعالى عما يصفون .

٢- الرحمن : هو اسم يدل على صفة مبالغة من الرحمة، وفي هذا اللفظ تتجلى معاني الربوبية الحقة وهو أنه جل وعز يرحم في الدنيا عموم خلقه ولو أنه سبحانه وتعالى اقتصرت رحمته على أهل الإيمان والطاعة لما أنعم على أحد من أهل الكفر والعصيان، وفي الحديث الشريف قوله ﷺ : (**لو كانت الدنيا تعدل "تزن" عند الله جناح بعوضة ما سقى كافر منها شربة ماء**)[الترمذي] . واسم الرحمن متحقق في الدنيا، فالكل شملته رحمة الرحمن، وكل الخلق محتاج لرحمته سبحانه بلا تمايز بين المؤمن والكافر والبر والفاجر، فكان بذلك سبحانه رحمن الدنيا ووسعت رحمته كل شيء وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ﴿١٥٦﴾ ﴾[الأعراف] .

ومن أسمائه سبحانه بهذا المعنى اسم (الحنان) وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ ﴾[مريم] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الرحمن ولولا ذلك لما أنعم على الكافر جرّاء كفره ولا على العاصي جزاء عصيانه .

٣- الرحيم : هو اسم يدل على معنى الرحمة بوجه عام، وهو سبحانه وتعالى رحيم بالمؤمنين في الدنيا والآخرة ولا رحمة لكافر به عز وجل .

وبالمعنى العام فالله تعالى في الدنيا هو الرحمن لجميع خلقه المؤمن والكافر سواء لأنها دار ممر وابتلاء ولكنه عز وجل في الآخرة رحيم بالمؤمنين فقط لأنها دار جزاء ومصير ولا يرحم حينها إلا أهل الإيمان سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم . وفي الحديث النبوي

---

[١] كلمة الألوهية تدل على الإله . وبالتالي فمدلولها يعني (التكليف) فالإله هو المعبود المشرّع المكلف . والله تعالى هو إله من آمن به من خلقه وهو الذي شرع لهم الدين الحق وهو الذي كلفهم بالعبادة ووجوب الطاعة، سبحانه وتعالى عما يصفون .

الشريف قوله ﷺ : (**جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها، خشية أن تصيبه**)[البخاري] .

وفي الأثر عن رسول الله ﷺ قوله : (إن عيسى بن مريم عليه السلام أسلمته أمه إلى الكتّاب ليعلمه، فقال له المعلم : اكتب، فقال : ما أكتب ؟ قال : بسم الله، قال له عيسى : وما بسم الله ؟ قال المعلم : ما أدري ؟ قال له عيسى : الباء بهاء الله والسين سناؤه والميم مملكته، والله إله الآلهة والرحمن رحمن الدنيا والآخرة والرحيم رحيم الآخرة)[ذكره ابن أبي حاتم وابن جرير الطبري والثعلبي وابن كثير والسيوطي والشوكاني في تفسير الآية الأولى من سورة الفاتحة] . فمدلول معنى الرحمن يشمل جميع الخلق في الدنيا، ومدلول الرحيم يشمل المؤمنين من خلق الله جل في علاه ممن آمن به وقبل منهجه في الدنيا .

ومن أسمائه سبحانه بهذا المعنى اسم (ذو الرحمة) وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ ﴿١٣٣﴾ ﴾[الأنعام] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الرحيم ولولا ذلك لما نجى من عباده أحد في ذلك اليوم العصيب .

٤- الملك : صاحب الأمر كله الذي مَلَكَ كل شيء، فالكل له من حيث بدء الخلق، ومن حيث التصرف والخضوع، ومن حيث المرجع والمآل، فلا واقع ولا حاصل في ملكه سبحانه شيء إلا بعلمه وإذنه وحكمه وحكمته، لا يخرج عن نطاق ملكه شيء . وتتجلى عظمة الملك أن لا مُلك لأحد في هذا الكون ولا تصرف إلا له سبحانه، فهو عز وجل الذي يملك الأرواح والأجساد ويملك الجوهر والأعراض ويملك ما علمنا وما لم نعلم ويملك الدنيا والآخرة جلت عظمته وفي محكم التنزيل قوله تعالى :

﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾[المؤمنـــــون] . وقوله سبحانه وتعالى :﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾[غافر] . والملك هو دوماً لله تعالى لكن مُلك الدنيا مظنة للخلق أن لهم فيه ملكاً حقيقياً وتصرفاً فعلياً وما علموا أن الله تعالى هو الذي ملّكهم، أما في الآخرة فلا مظنة لشيء من ذلك ولا مُلك لأحد حينها إلا الله جل ربنا في علاه .

ومن أسمائه سبحانه بهذا المعنى اسم (المليك) وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر] . فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل جلاله هو الملك الذي بيده كل شيء ولولا ذلك لاختل نظام الكون وانفرط حال العباد فيه واضطرب الأمر كله في الدنيا والآخرة .

٥- القدوس : المنزه عن كل نقص فهو صاحب القُدسية العُليا في قدسه الأعلى التام في ذاته وصفاته، العلي في مكانه له مطلق الكمالات، الذي يفيض منه التنزيه لمن أحب ورضي عنه . وتتجلى عظمة القدوس أنه عز وجل لا يشابهه شيء، ولا يبلغ أحد نفعه أو ضره أبداً، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[الأنعام] . وقوله جل في علاه : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾[الجمعة] .

ومما يندرج من الأسماء تحت هذا الاسم، اسم (السُبوح) ففي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**سبوح قدوس رب الملائكة والروح**)[مسلم][1] .

[1] والحديث بتمامه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : (أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده : سبوح قدوس رب الملائكة والروح) .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو القدوس في ذاته العلي في شأنه سبحانه منه يفيض كل كمال وجمال وجلال .

٦- السلام : السالم من كل عيب فهو منبع الأمن والطمأنينة وهو في ذاته السلام والآمر بالسلام في كل شيء وأرسل رسول السلام وأنزل كتاب السلام ليتحقق بتطبيق منهجه السلام فيتم في الكون السلام، فالسلام منه بدأ وإليه ينتهي في دار السلام . وتتجلى عظمة السلام أنه عز وجل أفاض السلام في جميع كونه فهو السلام ومنه السلام وجعل الجنة دار السلام، وفي محكم التنزيل قوله جل شأنه : ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾[يس] . وفي الحديث الشريف قوله ﷺ : (**إن الله هو السلام**...)[متفق عليه] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو السلام ولولا ذلك لما حل السلام في الدنيا ولا في الآخرة .

٧- المؤمن : الموحد لنفسه بالحق الموقن بذاته بكل صفات الكمال الجلال والجمال المصدق لإيمان العباد المؤيد رسله بالآيات والبراهين . وتتجلى عظمة المؤمن أنه عز وجل قذف في القلوب اليقين به بما لا يدع مجالاً للشك في وجوده بآثاره ونعمه وآلائه سبحانه ومطلق قدرته وتفرد تصرفه، وفي محكم التنزيل قوله جل في علاه : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴿١٨﴾ ﴾[آل عمران] . وهي المسماة بشهادة الذات للذات لأنه أعلم بنفسه سبحانه وتعالى عما يصفون .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو المؤمن وما ذلك إلا لتفرده التام بالعظمة والعزة والعلم والقدرة والحكمة .

٨- المهيمن : المسيطر على جزئيات الأشياء المتملك لجميع القدرات مما ظهر ومما بطن فلا يستطيع الخروج عن حكمه أو النفاذ من قبضته شيء . وتتجلى عظمة المهيمن أنه عز وجل قد هيمن على كليات الأمور فحال بين الإنسان ونفسه والمخلوق وإرادته فلا إرادة لغيره ولا مشيئة لسواه، وفي محكم التنزيل قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴿٢٤﴾ ﴾[الأنفال] . وقوله جلت عظمته : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴿٣٣﴾ ﴾[الرعد] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو المهيمن الذي هيمنت عظمته على كل شيء فحكم بحكمه سبحانه كل كونه وجميع خلقه .

٩- العزيز : الذي تعالى عن كل أحد واستغنى عن كل من سواه فهو عزيز في نفسه لا راد لأمره ولا معقب لحكمه لا يُغلب ولا يُقهر صاحب الكبرياء رداءه العزة وإزاره العظمة . وتتجلى عظمة العزيز أنه عز وجل إذا أراد شيئاً كان ولو بأدنى الحيل وإذا لم يرد شيئاً لم يكن ولو بأدهى الحيل لا يعجزه شيء أبداً، وفي محكم التنزيل قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾[الحديد] . وقوله جلت قدرته : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾[المنافقون] . وفي آيات كثيرة قوله سبحانه : ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو العزيز الذي له ومنه وبه تكون العزة، فلا عزة لغيره وكل عزة هي منه مدد وعطاء، وكل ما سواه ذليل وبين يديه مفتقر لعطاءاته حقير سبحانه .

١٠- الجبار : منيع القوى الذي علا وقهر عن قدرة وحكمة لا مبلغ لقوته وقهره وسطوته وإرغامه أبداً فهو ذو الجبروت سبحانه لا عن بطش وعسف وإنما عن حكمة

وعظمة واقتدار . وتتجلى عظمة الجبار أن عذابه عز وجل يفوق الوصف والتصور وله صور وأشكال وقد يكون بما ظاهره الرحمة، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾[الحجر] . وقوله عز وجل : ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الأنبياء] . وفي الحديث الشريف قوله ﷺ : (**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته** . قال ثم قرأ : ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾)[البخاري] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الجبار الذي إذا أخذ العبد بظلمه أخذه أخذ عزيز مقتدر فلا حدود لجبروته ولا مانع لانتقامه ولا مهرب لأحد من قبضته أبداً سبحانه .

١١- المتكبر : أي المتفرد بالكبرياء كل صفاته ذاتية فيه فاستحق بذلك العزة والعظمة لا عن قهر مجرد وإنما عن استغناء واستحقاق . وتتجلى عظمة المتكبر أنه عز وجل لا تزيد الطاعة في ملكه شيء ولا تنقص المعصية من ملكه شيء سبحانه، وفي محكم التنزيل قوله جل في علاه : ﴿ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[الجاثية] . وقوله جل جلاله : ﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ﴿٢٣﴾ ﴾[الحشر] . وفي الحديث القدسي قوله عز وجل : (**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار**)[أبو داود] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو المتكبر الذي بلغت صفاته غايات العظمة ونهايات الغنى والتفرد سبحانه فاستحق ذلك عن قدرة وتعاظم وتعالي .

١٢- الخالق : الذي أوجد من لا شيء، وأخرج الخلق من عدم مطلق من أول أمره فله النشأة الأولى والآخرة . وتتجلى عظمة الخالق أن هذا الكون هو من جملة خلقه عز

وجل فلا خالق غيره ولا خلق لأحد سواه أبداً، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴿١٦﴾ ﴾[الرعد] .

ومن أسمائه سبحانه بهذا المعنى (الخلاق) و (أحسن الخالقين) وفي محكم التنزيل قوله سبحانه : ﴿ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾[يس] . وقوله عز وجل : ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[المؤمنون] . والمعنى أن الخلق قد يوجدون شيئاً ما وهذا الإيجاد يشبه الخلق لكن ذلك يكون من موجود لله تعالى وبمدد منه سبحانه وعون لعبده بما فتح عليه وألهم وأرشد، أما هو جل في علاه فهو الخالق من العدم المطلق فكان بحق أحسن الخالقين .

ومما يندرج من الأسماء تحت هذا الاسم، أسماء (الفاطر) و (الجاعل) و (الفعّال) و (الفالق) وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ ﴿١﴾ ﴾[فاطر] . وقوله جلت عظمته : ﴿ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾[البروج] . وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ ﴿٩٥﴾ ﴾[الأنعام] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الخالق لكل شيء، منه بدأ الخلق وإليه يعود الكل، وهم محكومون بحكمه وإرادته وتقديره وتدبيره سبحانه .

١٣- البارئ : الذي أوجد الخلائق وبرأهم براعة منه على غير نظام سابق ولا مثال قائم، له كامل الإرادة ومطلق التصرف في ذلك . وتتجلى عظمة البارئ أنه عز وجل برأ الوجود من عدم مطلق لا سابق له، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر] .

ومما يندرج من الأسماء تحت هذا الاسم، اسماء (المُخرج) و (الذاري) و (الصانع) وفي محكم التنزيل قوله جل في علاه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ

﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾[الأنعام] . وقوله تعالى : ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ﴿١١﴾﴾[الشورى] . وقوله عز وجل : ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴿٨٨﴾﴾[النمل] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الذي برأ كل شيء من عدم مطلق لحكمة مقضية وبرحمة مرجوه سبحانه .

١٤- المصور : الذي برأ هيئات الكائنات وركب صور الخلق كيفما شاء سبحانه وجعل لكل صورة مقوماتها فحسنها بما يزينها وجعلها في أحسن تقويم . وتتجلى عظمة المصور أنه عز وجل مايز بين الخلق على كثرتهم وخالف بين صورهم حكمة ورحمة وقدرة، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾[الروم] . وقوله جلت قدرته : ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾[التغابن] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الذي صور الخلق صوراً شتى أشكالاً وألواناً أصنافاً وأجناساً متنوعين له في ذلك مطلق القدرة والحكمة سبحانه .

١٥- الغفار : الذي يغفر الذنب بعد الذنب ولا يعجزه ذنب أبداً فهو غفار دوماً المرة بعد المرة رغم كثرة ذنوب الخلق وتكرارها وتعددها وتنوعها . وتتجلى عظمة الغفار أنه عز وجل يغفر بلا حصر ولا عدد ولو أذنب العبد أكثر من سبعين مرة في اليوم، وفي محكم التنزيل قوله جل جلاله : ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾[طه] . وقوله تعالى : ﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾﴾[الزمر] . وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن الشيطان قال : وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب : وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني**)[صحيح الجامع وصححه الألباني] .

ومن أسمائه سبحانه بهذا المعنى اسما (الغافر) و (القابل) أي قابل التوبة، وفي محكم التنزيل قوله سبحانه : ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ ﴿٣﴾ ﴾[غافر] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الغفار للذنوب الذي يغفر ولا يبالي ولولا ذاك لهلك العباد من أول ذنب ومعصية اقترفتها أيديهم .

١٦- القهار : الذي له مطلق القدرة والقهر ولا يعجزه شيء من خلقه أبداً في الأرض ولا في السماء وقهره عن قدره وحكمة وعظمة لا عن بطش وطغيان . وتتجلى عظمة القهار أن كل الخلق خاضعون له عز وجل من أول أمرهم وإلى آخر مصائرهم، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾[الرعد] .

ومن أسمائه بهذا المعنى اسم (القاهر) وفي محكم التنزيل قوله سبحانه : ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً ﴿٦١﴾ ﴾[الأنعام] .

ومما يندرج من الأسماء تحت هذا الاسم، اسم (الغالب) وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[يوسف] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو القهار ورغم ذلك لم يقهر الخلق على عبادته وطاعته سبحانه رغم ما تحقق لهم من خير دلهم عليه وأرشدهم له جراء تطبيق منهجه الحق ورحمة بهم ورأفة بحالهم ليفلحوا .

١٧- الوهاب : الذي يعطي كل شيء ابتداء لا عن عوض ولا مقايضة، وهبته لا تنقص من ملكه شيء لأن عطاءه كلام ومنعه كلام سبحانه . وتتجلى عظمة الوهاب أنه عز وجل يهب بأسباب ظاهرة وبأسباب باطنة وهبته بغير حساب، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾[آل عمران] . وفي الحديث القدسي قوله جل جلاله : (... **ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم**

اجتمعوا في صعيد واحد فسأل كل إنسان منكم ما بلغت أمنيته فأعطيت كل سائل منكم ما سأل ما نقص ذلك من ملكي إلا كما لو أن أحدكم مر بالبحر فغمس فيه إبرة ثم رفعها إليه، ذلك بأني جواد واجد ماجد أفعل ما أريد عطائي كلام وعذابي كلام، إنما أمري لشيء إذا أردته أن أقول له كن فيكون)[الترمذي وابن ماجة] .

ومما يندرج من الأسماء تحت هذا الاسم، أسماء (المحسن) و (المعطي) و (المنعم) و (ذو الفضل) و (الكاسي) و(الجواد) وفي محكم التنزيل قوله جل في علاه : ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ ﴿١٠٠﴾ ﴾[يوسف] . وقوله سبحانه : ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾[طه] . وقوله جلت قدرته : ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ ﴿٥١﴾ ﴾[فصلت] . وقوله تعالى : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾[آل عمران] . وقوله عز وجل : ﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا ﴿٢٥٩﴾ ﴾[البقرة] . وفي الحديث الشريف قوله ﷺ : **(إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود)**[الترمذي والبزار وأبو يعلى][1]. فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الوهاب لكل شيء في هذا الكون عطاء رحمة ومنة وفضل منه جل في علاه .

١٨- الرزاق : الذي تولى أرزاق الجميع يعطيهم كل شيء مما تنبهوا له بأنه نعم وما غفلوا عنه وهو كثير ووفير ظاهر وخفي . وتتجلى عظمة الرزاق عز وجل أنه يرزق

[1] والحديث بتمامه قوله ﷺ : **(إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود)** .

الجميع كما أنه خلق الجميع، ولا قدرة لأحد على الرزق إلا هو سبحانه المالك لكل شيء والذي بيده تصريف الأمور، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ ﴿٦﴾ ﴾[هود] . وقوله جلت عظمته : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الذاريات] .

ومن أسمائه بهذا المعنى اسم (الرازق) بل هو (خير الرازقين) وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[المائدة] . والرازق للمؤمنين فقط، والرزاق صيغة مبالغة، فهي للمؤمنين ولغيرهم من عموم الخلق .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الرزاق الذي تكفل برزق جميع خلقه القوي والضعيف الصغير والكبير الصحيح والمريض المؤمن والكافر، لم ينس أحداً من خلقه أبداً جلت عظمته .

١٩- الفتاح : الذي يُعلِّم الخلق ويبين لهم كل شيء من أمور المعاش والعلم والفهم يرشدهم ويدلهم، الآذِن في إظهار ما شاء بما أراد سبحانه ولولاه لما فهم أحد ولما اهتدى مخلوق لما اهتدى إليه . وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾[سبأ] . وفي الحديث القدسي قوله جل شأنه : (**يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم**)[مسلم] .

ومما يندرج من الأسماء تحت هذا الاسم، اسما (الكاشف) و (المُنزِل) و (المبين) وفي محكم التنزيل قوله جلت عظمته : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴿١٧﴾ ﴾[الأنعام] . وقوله سبحانه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٧﴾ ﴾[آل عمران] . وقوله جل جلاله : ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾[النور] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الفتاح الذي يفتح لخلقه الأبواب والمغاليق ويكشف الأسرار والخفايا ولولاه سبحانه لما كان ذلك .

٢٠- العليم : الذي هو على كل شيء مطلع، مدرك للخفايا فلا تخفى عليه خافية، يعلم السر وأخفى والمكنون والنجوى . وتتجلى عظمة العليم أنه عز وجل يعلم مكنونات الضمائر وخفايا القلوب والسرائر وما يدور بذات الصدور فلا يُحجب عنه شيء أبداً، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾[المائدة] . وقوله جلت عظمته : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[النحل] .

ومن أسمائه بهذا المعنى (العالم) و (المعلِّم) و(علام الغيوب) وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ [الرعد] . وقوله جل في علاه : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾[البقرة] . وقوله سبحانه : ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾[التوبة] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو العليم المطلع الذي شرع للعباد كل ما ينفعهم وحجزهم عنهم كل ما يضرهم عن علم وقدرة وحكمة ورحمة سبحانه .

٢١- القابض : الذي ينتهي إليه كل شيء فهو الذي يقبض الأرواح والأنسام والأنفاس والأرزاق والأفهام فلا مرسل لها ولا موسع من بعده إلا هو سبحانه . وتتجلى عظمة القابض أنه عز وجل إذا شاء قتَّر على عبده وحجزه بما شاء عما شاء مهما فعل العبد، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ﴿٢٤٥﴾ ﴾[البقرة] .

ومما يندرج من الأسماء تحت هذا الاسم، اسما (الممسك) و (المتوفي) وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾[فاطر] . وقوله جلت عظمته : ﴿ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ﴿١٠٤﴾ ﴾[يونس] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو القابض الذي قبض عن عباده الشر والسوء والبلاء فلا شيء يحدث إلا بإذنه وعلمه سبحانه .

٢٢- الباسط : الذي أفاض على خلقه الرحمات والمنافع وهيأ ويَسّر لهم كل أبواب النعم ومفاتيح الأرزاق وأنواع العطايا فبسط بلا حد أو حساب، وفهّم وعلّم بلا ارتياب . وتتجلى عظمة الباسط أنه عز وجل إذا شاء بسط على عبده كيفما شاء سبحانه من حيث لا يدري العبد لا عن استحقاق وإنما فضل ومنّة وعطاء وابتلاء، وفي محكم التنزيل قوله جل ربنا في علاه : ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴿٢٦﴾ ﴾[الرعد] . وقوله جل شأنه : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴿٢٧﴾ ﴾[الشورى] .

ومما يندرج من الأسماء تحت هذا الاسم، اسم (المرسل) وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾[فاطر] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الباسط الذي هيأ لعباده الأسباب ويسر لهم الأخذ بها والانتفاع منها سبحانه .

٢٣- الخافض : الذي يحجز ما شاء بما شاء متى شاء وكيفما شاء فلا يبرزه ولا يظهره بل يضعه دون سواه ويخفيه عما سواه لحكمة ورحمة . وتتجلى عظمة الخافض أنه عز وجل متى شاء حجز عن عبده ما شاء بأدنى الأمور فيفوّت عليه ما أراد أو يقتّر عليه كيفما شاء ولو توافرت عند العبد كل الأسباب، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾[الصافات] .

ومما يندرج من الأسماء تحت هذا الاسم، اسم (المضل)[1]؛ وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ ﴾[الأعراف] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الخافض الذي لا رفعة لأحد إلا به سبحانه وبالتمسك بمنهجه والأخذ بما هيأ من أسباب عز وجل .

٢٤- الرافع : الذي يظهر ما شاء كما شاء ويبرزه متى شاء كيفما شاء فيرفعه عما سواه لحكمة . وتتجلى عظمة الرافع أنه عز وجل متى شاء هيأ لعبده الأسباب من حيث لا يدري فيرفعه ولو بأهونها، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾[المجادلة] .

ومن أسمائه بهذا المعنى اسم (الرفيع) وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ﴿١٥﴾ ﴾[غافر] . فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الرافع الذي لا قوة لأحد ولا قدرة على الفعل إلا به ومنه عز وجل .

٢٥- المعز : الذي منه كل أسباب العزة فمن شاء أعزه بملك أو بقدرة أو بعلم أو بكل ذلك أو ببعضه أو بغيره، ولا عزة بسواه سبحانه أبداً . وتتجلى عظمة المعز أنه عز وجل متى شاء ساق أسباب العزة لعبده من حيث لا يدري ومكّنه منها، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[آل عمران] .

ومما يندرج من الأسماء تحت هذا الاسم، أسماء (المكرم) و (المجتبي) و (المصطفي) وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ

[1] أي الذي يضل من أعرض عن دينه وشرعه وذكره سبحانه، فلا يهديه هداية التوفيق والمعونة والتأييد، لأنه أعرض عن هداية الدلالة والإرشاد، حين كفر به سبحانه وعصاه عز وجل .

﴿ ١٨ ﴾[الحج] . وقوله جل جلاله : ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴿ ٧٨ ﴾[الحج] . وقوله جلت قدرته : ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴿ ٧٥ ﴾[الحج] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو المعز الذي منه أسباب القوة والقدرة والتمكين والتأييد سبحانه .

٢٦- المذل : الذي بيده كل أسباب المذلة فمن شاء أذله بفقرٍ أو بجهلٍ أو بقِلّةٍ أو بكل ذلك أو ببعضه أو بغيره . ولا مذل إلا هو سبحانه . وتتجلى عظمة المذل أنه عز وجل متى شاء ساق أسباب المذلة لعبده بكل وجه، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴿ ٢٦ ﴾[آل عمران] .

ومما يندرج من الأسماء تحت هذا الاسم، اسم (المُهِن)[1]؛ وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴿ ١٨ ﴾[الحج] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو المذل الذي يقهر ويحرم ويسلط على العبد بذنوبه ومعاصيه ما شاء أنّى شاء سبحانه .

٢٧- السميع : الذي لا يغيب عن سمعه أدنى الأصوات ولا تختلط عليه الألسنة ولا يهجر من دعاه ولا يخيب من رجاه وهو قريب من كل أحد، وتتجلى عظمة السميع أنه عز وجل يسمع دبيب النملة السوداء على الصفاة السوداء في ظلمة الليل البهيم، وفي محكم التنزيل قوله جلت عظمته : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ

[1] أي الذي بيده أسباب الإهانة لمن كفر به وعصى سبحانه، وأسماء الأفعال هذه هي لله تعالى على وجه غاية الكمال، والتصرف المطلق في الأمور .

﴿١٨٦﴾[البقرة] . وقوله تعالى في آيات كثيرة : ﴿وهو السميع البصير﴾ . وفي الحديث الشريف قوله ﷺ : (**يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون سميعاً بصيراً**)[البخاري . وأربعوا أي أرفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم فإن الله تعالى سامعكم] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل جلاله هو السميع لخلقه القريب منهم يسمع كلامهم ويرى مكانهم ويعينهم على أمور دينهم ودنياهم لا يعجز عن شيء .

٢٨- البصير : الذي لا يغيب عن بصره شيء أبداً فهو مطلع على الجميع فلا تغيب عن بصره غائبة ولا تستتر عليه مستترة ولا تخفى عليه خافية . وتتجلى عظمة البصير أنه عز وجل لا يغفل بصره عن خلقه أبداً مطلع عليهم دوماً، وفي محكم التنزيل قوله سبحانه وتعالى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام] . وقوله جل شأنه : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ ﴿٤﴾ ﴾[الحديد] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو البصير الذي يرى الخلق ويرحم الحال ويغيره برحمته سبحانه فاحذر أن يراك جل جلاله حيث لا يرضى ويفتقدك حيث يحب ويرضى .

٢٩- الحكم : الذي له حكم كل شيء ومنه وبأمره حُكم كل شيء وإليه ينتهي كل شيء فيحكم بين عباده فلا حكم فوق حكمه أبداً . وتتجلى عظمة الحكم أنه عز وجل لا حاصل ولا واقع في هذا الكون ولا باقٍ إلا حكمه، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا ﴿١١٤﴾ ﴾[الأنعام] .

ومن أسمائه بهذا المعنى اسم (الحاكم) بل هو (خير الحاكمين) و (أحكم الحاكمين) وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[الأعراف] . وقوله

سبحانه : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾ ﴾[التين] . فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الحكم الذي قدر كل حكمه بالخير وفي الخير وإلى الخير وللخير فكان كل حكمه خير على خير .

٣٠- العدل : الذي انصف نفسه من نفسه فعدل في كل شأنه وأقام على ذلك ملكه فعدل بين جميع خلقه وأمرهم به فلا ظلم ولا جور في ملكوته وحكمه وقدره وقضائه . وتتجلى عظمة العدل بأنه عز وجل أقام الملك والحكم على أساس العدل، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴿٩٠﴾ ﴾[النحل] .

ومما يندرج من الأسماء تحت هذا الاسم، اسم (الصادق) و (الوافي) وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾[النساء] وقوله عز وجل : ﴿ ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾[النساء] . وقوله سبحانه : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[الأنعام] . وقوله جل في علاه : ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ ﴿٢٥﴾ ﴾[النور] . فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو العدل الذي لا يظلم عنده أحد في الدنيا ولا في الآخرة سبحانه وتعالى .

٣١- اللطيف : الخفي بذاته والظاهر بقدرته وآثاره الذي قدّر على خلقه الأقدار والحوادث ويسّرها عليهم في كل شيء لعلمه جل في علاه بضعفهم وفقرهم وحاجتهم . وتتجلى عظمة اللطيف أنه عز وجل حين يصيب العبد من عباده بقدره وبلائه يبقي عليه أسباب البقاء والعافية، وألطاف الله سبحانه في الأمور والأقدار لا تخفى على أحدٍ من البشر أبداً، وفي محكم التنزيل قوله جلت عظمته : ﴿ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[يوسف] . وقوله سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ ﴾[الشورى] . فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في

علاه هو اللطيف الذي رحم ضعف العباد ولولا ذلك لضاق الخلق بقدر الله تعالى وقضائه وبشرعه ولكنه لطف اللطيف بهم ورفقه بأحوالهم سبحانه وتعالى .

٣٢- الخبير : الذي هو مدرك لخفايا الأمور وبواطنها مطلع عليها فلا يخرج شيء عن نطاق علمه وسيطرته وتقديره البديع وتصريفه الحكيم وعلمه الواسع يرشد خلقه ويعلم عباده لما فيه نفعهم وخيرهم . وتتجلى عظمة الخبير أنه عز وجل يعرف مكنون الأشياء بكل دقة ودراية، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[الملك] . وقوله جلت عظمته في آيات كثيرة : ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الخبير بكل ما ينفع ويضر فقدر كل الخير ولولا ذلك لهلك العباد .

٣٣- الحليم : الذي يظهر النعمة ويؤخر العقوبة لأن رحمته سبقت غضبه فلا يؤاخذ العباد من أول معصية بل يمهلهم ويتجاوز عنهم لعلهم يتوبوا وإليه ينيبوا . وتتجلى عظمة الحليم أنه عز وجل يرى العبد على كفره وفجوره سنين طويلة وهو يبارزه بذلك فلا يؤاخذه بذنوبه وهو قادرٌ على أخذه بأشد العذاب وبأهون الأقدار من أول الأمر، وفي محكم التنزيل قوله جل شأنه : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ ﴿٤٥﴾ ﴾[فاطر] . وقوله سبحانه كثيراً : ﴿ إن الله لعليم حليم ﴾ .

ومما يندرج من الأسماء تحت هذا الاسم، اسما (الحيي) و (الستِّير) وبمعناه الساتر والستار . ففي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن الله حيّي ستير**)[أبو داود والنسائي وأحمد][1] . فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الحليم الذي

[1] والحديث بتمامه قوله ﷺ : (**إن الله حيي ستير، فإذا أراد أحدكم أن يغتسل فليتوارى**) .

يتجاوز عن خلقه ذنوبهم رحمة بهم فلا يحرمهم نعمه وخيره بمعاصيهم ولا يحقد عليهم ولا يتغير بكفرهم وشركهم وفسوقهم سبحانه وبحمده .

٣٤- العظيم : الذي له مطلق صفات الكمال والجمال والجلال ذاتاً وفعلاً لا حد لها ولا حصر ولا عد . وتتجلى عظمة العظيم أنه عز وجل خلق هذا الكون الفسيح وهو قدر جزء بسيط من خلقه المرئي فكيف بذاته سبحانه، وفي محكم التنزيل قوله تعالى في آية الكرسي : ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[البقرة . ولا يؤوده أي لا يتعبه ولا يعييه حفظ العباد وتصريف شؤونهم وتدبير أمورهم والقيام على ذلك] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو العظيم الذي أقام الكون بعظمته وحُسن تقديره فكيف بحقيقة ذاته العلية سبحانه وتعالى عما يصفون .

٣٥- الغفور : الذي يتغاضى عن ذنوب العباد كثيراً فيغفرها ويسترها عليهم لا يجازي العبد بذنبه وإلا لهلك . وتتجلى عظمة الغفور أنه عز وجل متى جاءه العبد مستغفراً غفر له مهما كانت ذنوبه، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾[الحجر] . وقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾[الملك] . وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**من قال : أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غفر له وإن كان قد فر من الزحف**)[أبو داود والترمذي] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الغفور في كل وقت وحين لعلمه بضعف حال العباد سبحانه وتجاوزهم حدوده بالشهوات والشبهات .

٣٦- الشكور : الذي يعطي الكثير من النعم ويقبل القليل من العمل تفضلاً منه، وهو متى أعطى سبحانه أوسع، ومتى قَبِل تجاوز . وتتجلى عظمة الشكور أنه عز وجل

يجزي بالصالح أضعافاً مضاعفة، وفي محكم التنزيل قوله سبحانه : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴿٢٤٥﴾ ﴾[البقرة] . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[فاطر] .

ومن أسمائه بهذا المعنى اسم (الشاكر) وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾[البقرة] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الشكور الذي يعطي أكثر مما يستحق العباد عطاءً عاجلاً وآجلاً فضلاً منه ومنّة ورحمة سبحانه .

٣٧- العلي : الذي له كامل القدرة وعظيم القدر في ذاته، عليٌّ شأنه مرتفع على خلقه في مكانه مستوياً على عرشه سبحانه يرى ما هم عليه . وتتجلى عظمة العلي أنه عز وجل فوق الجميع، خيره إليهم نازل وعملهم إليه صاعد، وفي محكم التنزيل قوله عز وجل : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴿١٠﴾ ﴾[فاطر] .

ومن أسمائه بهذا المعنى اسم (الأعلى) وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ﴾[الأعلى] . فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو العلي يرى ما عليه حال العباد فيقوم أمرهم به وسيجازيهم بأعمالهم خيرها وشرها سبحانه .

٣٨- الكبير : الذي فاقت ذاته وصفاته كل حد فله غاية صفات العظمة والقدرة والجلال سبحانه . وتتجلى عظمة الكبير أنه عز وجل إليه يلجأ الكل ولا سيما حال الضعف والشدة والقهر وحال الأقدار وحلول الحوادث والقوارع حين يرى المخلوق نفسه ضعيفاً وأن ربه كبير يتولى كل الأمور ويكشف السوء بأهون الأقدار فلا يعجزه شيء أبداً، وفي محكم التنزيل قوله جلت قدرته : ﴿ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾[غافر] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الكبير الذي كل ما سواه صغير حقير لا قدرة له على شيء إلا به جل ربنا في علاه .

٣٩- الحفيظ : الذي يكلأ العباد بعنايته ورعايته فيحفظهم من كل شر وسوء وبلاء ظاهر أو خفي يدبر شؤونهم سبحانه ويصرف أمورهم . وتتجلى عظمة الحفيظ جل في علاه أنه يحفظ الخلق حتى حال الكفر والفجور والفسوق والمعاصي ولولا حفظه تعالى له لما كان من أمر الدنيا ما كان، فهو سبحانه لا ينام ولا يغفو بل يظل يحرس عباده في كل وقت وحين، وفي محكم التنزيل قوله تعالى شأنه وتقدست أسماؤه : ﴿ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ ﴾[سبأ] .

ومن أسمائه بهذا المعنى اسم (الحافظ) وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[يوسف ٦٤] .

ومما يندرج من الأسماء تحت هذا الاسم، أسماء (الحفي) و (العاصم) و (المُجير) والحفي أي الذي يحوط عباده أجمعين ولا سيما الصالحين بعنايته وحفظه، وفي محكم التنزيل قوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ﴾[مريم] . وقوله تعالى : ﴿ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ ﴿٣٣﴾ ﴾[غافر] . وقوله جلت قدرته : ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[المؤمنون] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الحفيظ الذي بحفظه قام أمر الخلق والعباد سبحانه ولولاه لفسدت السموات والأرض ومن فيهن سبحانه وتعالى عما يصفون .

٤٠- المقيت : الشاهد الذي جعل لكل شيء وقتاً وقدراً فمدّ العباد بأسباب الحياة والقوت . وتتجلى عظمة المقيت سبحانه أن بيده عز وجل كل أنواع النعيم وصنوف

القوت، وهو سبحانه الذي جعل لكل شيء وقتاً معلوماً وقدراً معلوماً بحكمة ولحكمة، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ﴿٨٥﴾ ﴾[النساء] . وقوله جلت عظمته : ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾ ﴾[الحجر] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو المقيت الذي بأمره جعل للكون والخلق أمداً معلوماً وأجلاً محدوداً وقدراً موعوداً في الدنيا والآخرة سبحانه .

٤١- الحسيب : الكافي لخلقه الذي عنده علم الحساب وكل شيء عنده بحساب ثم هو سبحانه سيجمع الخلق ليوم الحساب، وأن عظمته هي فوق الحُسبان . وتتجلى عظمة الحسيب سبحانه أنه عز وجل يجزي بمثقال الذرة وما دون ذلك، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٦﴾ ﴾[النساء] . وقوله جلت عظمته : ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[القارعة] .

ومن أسمائه بهذا المعنى اسم (الحاسب) بل هو (أسرع الحاسبين) وفي محكم التنزيل قول ربنا جلت قدرته : ﴿ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴿٢٨٤﴾ ﴾[البقرة] . وقوله سبحانه :﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾[الأنعام] .

ومما يندرج من الأسماء تحت هذا الاسم، اسم (المسعِّر) ففي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن الله هو المسعر**)[أبو داود والترمذي وابن ماجة][1].

[1] والحديث بتمامه عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله، سعر لنا، فقال : **إن الله هو المسعر، القابض، الباسط، الرزاق، وإني لأرجو أن ألقى ربي وليس أحد منكم يطلبني بمظلمة في دم ولا مال**) .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الحسيب الذي لم ولا ولن يترك شيئاً هملاً أبداً .

٤٢- الجليل : الذي تعالى شأنه عن الإدراك فجل في علاه عن المساوي والمثيل والند والشريك له ذاتاً وصفة سبحانه وتعالى فلا حاجة له في الخلق . وتتجلى عظمة الجليل سبحانه أنه عز وجل جلت صفاته عن الإدراك والإحاطة وتقدست أسماؤه عن المثلية أبداً، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[الشورى] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الجليل وكل ما سواه سبحانه قليل ضئيل فقير ضعيف ذليل .

٤٣- الكريم : أي المبتدئ خلقه بعموم النعم والعطايا، وعطاءه لا عن استحقاق ولا عن عمل وإنما تفضلاً منه ومنّة ورحمة تعالى . وتتجلى عظمة الكريم سبحانه أن نعمه عز وجل تفوق الوصف والاستحقاق والكل غارقٌ فيها المؤمن والكافر والبر والفاجر، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ﴾[الانفطار] .

ومن أسمائه بهذا المعنى اسم (الأكرم) وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ﴾[القلم] .

ومما يندرج من الأسماء تحت هذا الاسم، اسم (المنان) وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[آل عمران] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الكريم الذي يرحم الخلق فيعطيهم لا على قدر إيمانهم وأعمالهم وطاعتهم وإنما على قدر رحمته وفضله ومنّه وواسع وحكمة قضائه وقدره جلت عظمته .

٤٤- الرقيب : المطلع على عباده قائم بتدبير شؤونهم عالم بأعمالهم مراقب إياها لا يخفى عليه من أمرهم شيء . وتتجلى عظمة الرقيب سبحانه أنه عز وجل متابع لخلقه لا يغيبون عنه ليلاً أو نهاراً أبداً، وفي محكم التنزيل قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[النساء] . وقوله جلت قدرته : ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ ﴾[سبأ . ولا يعزب أي لا يغيب] . فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الرقيب المحاسب لك المجازي على فعالك ولولا ذلك لمرج أمر العباد والخلق سبحانه .

٤٥- المجيب : الذي لا يخيب من رجاه ودعاه يعطي سائله ويرحم داعيه وكل من لجأ إليه ويسمع مناجيه ويجيب قاصده . وتتجلى عظمة المجيب سبحانه أنه عز وجل يستجيب دعاء العبد ولو كان مقصراً في عبادته وطاعته لربه جل شأنه، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾[هود] .

ومما يندرج من الأسماء تحت هذا الاسم، وهو مقترن به كثيراً اسما (القريب) و (المغيث) وفي محكم التنزيل كما في الآية السابقة، وأيضاً قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة] . وقوله جل شأنه : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ﴿٩﴾ ﴾[الأنفال] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو المجيب الذي لا يمنع سائلاً دعاه في كل وقت وحين يسمع النداء ويغير الحال ولولا ذلك لتعنّى العباد بتكاليف الحياة فسبحانه وتعالى عما يصفون .

٤٦- الواسع : الذي لا حد لقدرته وعظمته وكامل صفاته ولا إحصاء لفيوضاته أبداً . وتتجلى عظمة الواسع سبحانه أنه عز وجل يوسع العطاء ويضاعفه لمن شاء من

خلقه بلا حساب سواء لمن طلب الدنيا أو لمن طلب الآخرة، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾[البقرة] . وقوله سبحانه : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ﴿٢٠﴾ ﴾[الشورى] .

ومن أسمائه بهذا المعنى اسم (الموسع) وفي محكم التنزيل قوله جل جلاله : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[الذاريات] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الواسع الذي لا تقف رحماته وعطاءاته وفيوضاته ومنحه عند حد فسبحانه وبحمده .

٤٧- الحكيم : كامل الحكمة في الخلق والإيجاد والتصريف والتدبير الذي خلق كل شيء وقدَّره تقديراً لمنفعة ومصلحة فلا عبث في أفعاله أبداً ولكل شيء ومن كل شيء وفي كل شيء حكمة من خلقه له . وتتجلى عظمة الحكيم سبحانه أنه عز وجل قدَّر كل قدره وجعل كل قضائه مرهون بحِكم عُليا عنده عز وجل منها ما فهمه العباد ومنها ما لم يفهموه، وفي الذكر الحكيم قوله جلت قدرته : ﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾[الرعد] . وقوله سبحانه في آيات كثيرة : ﴿ وكان الله عليماً حكيماً ﴾ .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الحكيم الذي أقام أمر الخلق والعباد بحكمة تقديره وحكيم تصريفه وتدبيره سبحانه .

٤٨- الودود : مريد الخير لخلقه يتقرب إليهم بالنعم والرحمات والصفح والعفو والفضل فشرع لهم مواسم الخيرات ومواطن الرحمات . وتتجلى عظمة الودود سبحانه أنه عز وجل يتودد لعباده بالنعم رغم تقصيرهم في العبادة والطاعة ومتى استغفروه تودد إليهم بالتوبة والغفران بل ويبدل السيئات إلى حسنات، وفي محكم التنزيل قوله جلت عظمته : ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ﴾[البروج] .

ومما يندرج من الأسماء تحت هذا الاسم، اسم (الرفيق) ففي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن الله رفيق يحب الرفق**)[مسلم][1].

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الودود الذي يتقرب إلى العباد بالعطاء والفيض والخير رغم تقصيرهم في عبادته وطاعته .

٤٩- المجيد : الماجد الممجد في ذاته له كل صفات الكمال والجمال والجلال له رداء العظمة والقدرة والبهاء والعزة فاستحق بذلك كل أنواع المحامد والشكر سبحانه . وتتجلى عظمة المجيد سبحانه أنه عز وجل له كل صفات الكبرياء والعظمة لا مثيل له ولا نظير، وفي محكم التنزيل قوله سبحانه : ﴿ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾[هود] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو المجيد في قضائه وقدره وحكمه وحكمته لكل ما ينفع البشر ويصلح شؤونهم سبحانه .

٥٠- الباعث : مرسل الرسل دعاة للخلق لعبوديته وإقامة شرعه وتطبيق منهجه في الدنيا، باعث الخلق من قبورهم ليوم الحشر والمعاد في الأخرى . وتتجلى عظمة الباعث سبحانه أنه عز وجل أوجد الخلق من العدم لعبادته وطاعته وقضى عليهم بالموت وسيبعثهم ليجازيهم كلاً بعمله، وفي محكم التنزيل قوله جل في علاه : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ﴿٦﴾ ﴾[المجادلة] . وقوله تعالى : ﴿ مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ﴿٥٢﴾ ﴾[يس] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الباعث الحق الذي سيبعث الخلق بين يديه للحساب والجزاء سبحانه .

---

[1] والحديث بتمامه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قال : (**إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه**) .

٥١- الشهيد : الحاضر الذي لا يغيب عنه شيء من أمر خلقه وعباده عالم بأعمالهم شاهد وشهيد عليها . وتتجلى عظمة الشهيد سبحانه أنه عز وجل لا يغيب عنه من أمور ملكه شيء أبداً من أقصاه إلى أدناه، وفي محكم التنزيل قوله جل في علاه : ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾[النساء] . وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[الأنعام] .

ومما يندرج من الأسماء تحت هذا الاسم، اسما (الشاهد) و (المُنطِق) وفي محكم التنزيل قوله جل شأنه : ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾[الأنبياء] . وقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴿٢١﴾ ﴾[فصلت] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الشهيد الذي هو معنا يرانا ولا نراه وهو أول شاهد وشهيد على أعمالنا يوم القيامة سبحانه .

٥٢- الحق : كامل الصفات الدائم جل جلاله ثابت لا يتغير أبداً، لا تجري عليه الأحداث ولا يتأثر بالمؤثرات . فهو حق في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله وتصرفاته وفي تصريفه وتدبيره جلت عظمته . وتتجلى عظمة الحق سبحانه أنه عز وجل خلق خلقاً عظيماً وأموراً جليلة لا يمكن أن يكون القصد منها العبث أو اللعب واللهو وكل صفاته تدل على أنه حق مطلق لا شريك له في ذلك، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾[النور] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الحق المطلق وكل ما سواه منه بدأ وإليه سينتهي ويعود فلا حقيقة مطلقة إلا هو سبحانه وتعالى عما يصفون .

٥٣- الوكيل : المدبر القائم بأعمال خلقه وهو خير من يتولى ذلك بعنايته ورعايته، وتتجلى عظمة الوكيل سبحانه أنه عز وجل هو الذي أمر الخلق بالعبادة والطاعة وهو

الذي يعينهم على أمور دينهم ودنياهم ومتى وكّلوه في شيء فهو عز وجل حسبهم وحسيبهم وخير معين لهم، وفي محكم التنزيل قوله سبحانه : ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام] . ولذا شرع لنا سبحانه قول : (حسبنا الله ونعم الوكيل) في كل وقت وحين ولا سيما حال الحاجة والعجز والضعف والظلم .

ومما يندرج من الأسماء تحت هذا الاسم، اسما (الكفيل) و (المستعان) وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴿٩١﴾ ﴾[النحل] . وقوله عز وجل : ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[الأنبياء] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الوكيل الذي لولاه لعجز الخلق أن يفعلوا شيئاً مما أمروا به من أمور الدين والدنيا سواء بدونه سبحانه .

٥٤- القوي : الذي قدر على كل شيء فلا يُغلب أبداً وكل أسباب القوة الظاهرة والخفية هي منه مدد وعطاء . وتتجلى عظمة القوي سبحانه أنه عز وجل لا يعجزه شيء أبداً والكل خاضع له ولقدرته ولتصرفه طوعاً أو كرهاً، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ ﴾[الحج] . وقوله تعالى : ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾[الحج] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو القوي الذي لا قوة حقيقية لسواه في هذا الكون أبداً فسبحانه .

٥٥- المتين : عظيم الشأن كبير القدر في ذاته وصفاته وأفعاله لا يضعف ولا يتغير ولا يحيطه شيء ولا يستطيع أحد أن ينفذ من سلطانه وقهره . وتتجلى عظمة المتين سبحانه أنه عز وجل لا يفوته مكر ماكر ولا كيد كائد، وفي محكم التنزيل قوله سبحانه

: ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ ﴾[الأعراف] . وقوله جل في علاه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الذاريات] . وقوله جلت عظمته : ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ ﴾[الرحمن] .

ومما يندرج من الأسماء تحت هذا الاسم، اسم (المحيط) و (المستدرج) وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾ ﴾[فصلت] . وقوله سبحانه : ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ ﴾[البروج] . وقوله جل شأنه : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ ﴾[الأعراف] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو المتين الذي أحاط بكل شيء قدرةً وعلماً فسبحانه وتعالى عما يصفون .

٥٦- الولي : الناصر الذي يتولى الخلق فيحفظهم ويدبر شؤونهم ويصرف أحوالهم ولاية عامة، ثم هو عز وجل يتولى الصالحين ولاية قرب وعطاء وتوفيق . وتتجلى عظمة الولي سبحانه أنه عز وجل خير من يتولى الأمور ويصرفها ويدبرها، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴿٢٥٧﴾ ﴾[البقرة] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الولي ولولاه لما استطاع العباد فعل شيء من غير أن يتولاهم برعايته وعنايته وحفظه وكلائه سبحانه .

٥٧- الحميد : الذي استحق كل أنواع الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه في ذاته وأفعاله لكماله وجلاله وجماله . وتتجلى عظمة الحميد سبحانه أنه عز وجل استحق كل الحمد بما تفضل به على خلقه فهو سبحانه قبل أن يخلق الخلق أوجد لهم المنهج الأنسب والشرع الأفضل وهيأ لهم سبل العيش وممكنات الحياة ثم أوجدهم

بعد ذلك على منهج وكمال مطلق وأمرهم بالتمسك به، وفي محكم التنزيل قوله جل شأنه في عدة آيات : ﴿ والله غنيٌ حميد ﴾ .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الحميد الذي يجزي بالقليل الكثير وبالإساءة الإحسان فسبحانه وتعالى عما يصفون .

٥٨- المحصي : المحيط المطلع على أعمال العباد وكل شيء من أمر خلقه، قد أحصى كل شيء عدداً فكل شيء عنده بقدر معلوم . وتتجلى عظمة المحصي سبحانه أنه عز وجل قدر لكل شيء قدراً، وفي محكم التنزيل قوله جل في علاه : ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[الأنعام] . وقوله جل جلاله : ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[القمر] . وقوله سبحانه : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾[المجادلة] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو المحصي الذي عنده مقادير كل شيء من أمر الخلائق سبحانه .

٥٩- المبدئ : الذي له مطلق القدرة على الإيجاد من عدم بدأ خلق كل شيء واستحدثه أولاً لا سابق له جلت قدرته في ذلك . وتتجلى عظمة المبدئ سبحانه أنه عز وجل يخلق كل يوم خلقاً جديداً لا يعلمه إلا هو جل شأنه من كائنات دقيقة وما فوق ذلك، وأفلاك عظيمة وما دون ذلك، وفي محكم التنزيل قوله سبحانه : ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأَخِرَةَ ﴿٢٠﴾ ﴾[العنكبوت] . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ ﴾[البروج] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو المبدئ ولولاه لما كان في الكون كائن أبداً فسبحانه وتعالى عما يصفون .

٦٠- المعيد : الذي له مطلق القدرة على الإعادة بعد الفناء وهو سبحانه سيعيد الخلق ليوم لا ريب فيه . وتتجلى عظمة المعيد سبحانه أنه عز وجل يحي الأرض بعد موتها بالماء فتنبت الخضر والزرع بعدما كانت بوار، كذلك إعادة الخلق يوم القدر المعلوم، وفي محكم التنزيل قوله عز شأنه : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ ﴿٢٧﴾ ﴾[الروم] . وقوله تعالى : ﴿ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾[ق] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو المعيد الذي جعل لكل شيء وقتاً معلوماً للجزاء والحساب .

٦١- المحيي : الذي أحيا الخلق وأبرزهم للوجود وكل حياة في الوجود هي منه مدد سبحانه بعلمه وإذنه وقدره وقدرته . وتتجلى عظمة المحيي سبحانه أنه عز وجل أحيا بعد موت وعدم مطلق وسيُحييهم مرة أخرى بعد موت أيضاً، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[البقرة] . وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾[يس] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو المحيي الذي أوجد كل شيء في عالم الوجود سبحانه .

٦٢- المميت : الذي يتوفى الأنفس بالموت وذهاب الحياة وكل موجود لا بد له من الموت . وتتجلى عظمة المميت سبحانه أنه عز وجل كتب الموت على كل شيء من

خلقه ولا فرار لأحد منه أبداً، وفي محكم التنزيل قوله جل في علاه : ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾[ق] . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ ﴾[ق] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو المميت الذي حتم الموت على كل الخلق فسبحانه وتعالى عما يصفون .

٦٣- الحي : واجب الوجود الذي وجد منه كل موجود فهو سبحانه حيٌ بذاته له كامل صفات الحياة والقدرة يباشر تدبير أحوال خلقه وتصريف شؤونهم بنفسه سبحانه . وتتجلى عظمة الحي جل جلاله أنه عز وجل أحيا الكون بحياته، وفي محكم التنزيل قوله جل جلاله : ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ﴿٩﴾ ﴾[السجدة] . وقوله سبحانه : ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴿٣﴾ ﴾[فاطر] . وقوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الحي الذي أمد جميع الخلق بحياته ولا وجود لهم إلا بوجوده سبحانه .

٦٤- القيوم : أي القائم على شؤون عباده خلقاً وإيجاداً وتقديراً وتدبيراً وتصريفاً وحفظاً ورزقاً وعناية ورعايته كل ذلك منه سبحانه . وتتجلى عظمة القيوم سبحانه أنه عز وجل يدبر شؤون خلقه ويصرف أمورهم أبداً، والخلق عن ذلك لاهون ويظنون أن لهم شيء من تلك القدرة التي أمدهم سبحانه بها، وما علموا أنها حقيقة هي من الله تعالى عطاء ومدد، وفي محكم التنزيل قوله سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[البقرة] .

ومما يندرج من الأسماء تحت هذا الاسماء، أسماء (المدبر) و (المصرف) و (القائم) و (المُشرّع) وفي محكم التنزيل قوله سبحانه : ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ﴿٣﴾ ﴾[يونس] . وقال جل في علاه في الذكر الحكيم : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[الأنعام] . وقال جلت قدرته : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴿٣٣﴾ ﴾[الرعد] . وقوله جل جلاله : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ ﴿١٣﴾ ﴾[الشورى] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو القيوم الذي لولاه لما قام أمر السماء والأرض سبحانه .

٦٥- الواجد : الذي خلق من عدم وجعل لذلك منهج حق، فهو الواجد بذاته الموجد لغيره . وتتجلى عظمة الواجد سبحانه أنه عز وجل لا خالق للكون بما فيه من مخلوقات عظيمة أرضية وعلوية إلا هو سبحانه، وفي محكم التنزيل قوله جل ربنا في علاه : ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[المؤمنون] .

من الأسماء تحت هذا الاسماء، اسم (المنشئ) وفي محكم التنزيل قوله سبحانه : ﴿ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ ۚ ﴿٢٠﴾ ﴾[العنكبوت] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الواجد الذي أوجد كل شيء على ما أراد ولحكمة عليا من ذلك الإيجاد سبحانه .

٦٦- الماجد : الكامل الذي ليس من صفاته شيء فيه نقص أو عيب فهو في غني في نفسه مستغنٍ عن غيره له مطلق صفات الكمال والجمال والجلال . وتتجلى عظمة الماجد سبحانه أنه عز وجل لا يحتاج للخلق أبداً فهو في ذاته عز وجل عليٌ أعلى

عظيم كبير متعال، وفي محكم التنزيل قوله سبحانه وتعالى : ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾[إبراهيم] . وقوله جلت قدرته : ﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾﴾[التغابن] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الماجد في ذاته الذي منح الخلق الرفعة والعزة منه متى كانوا في معيته سبحانه .

٦٧- الواحد : الذي لا شريك له أبداً فهو واحد في كل شيء في ذاته وصفاته وأفعاله ليس له ند ولا مثيل ولا نظير أبداً . وتتجلى عظمة الواحد سبحانه أنه عز وجل لا شريك له في شيء أبداً فلا خالق ولا رازق ولا مصرف ولا مدبر ولا معطي سواه جل في علاه، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾[الرعد] .

ومن أسمائه بهذا المعنى اسماء (الأحد) و (الوتر) و (الفرد) . والأحد هو الذي لا يتبعّض ولا يتجزأ لأجزاء يحتاج بعضها لبعض،وفي محكم التنزيل قوله جلت عظمته : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾[الإخلاص] . وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن الله وتر يحب الوتر، فأوتروا يا أهل القرآن**)[الترمذي وابن ماجة وأحمد] . وفي الحديث النبوي الشريف الآخر قوله ﷺ : (**إن لله تسعة وتسعين اسماً ... الفرد الصمد**)[الجامع الصغير][1].

---

[1] والحديث بتمامه قوله ﷺ : (**إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها كلها دخل الجنة أسأل الله الرحمن الرحيم الإله الرب الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الحكيم العليم السميع البصير الحي القيوم الواسع اللطيف الخبير الحنان المنان البديع الودود الغفور الشكور المجيد المبدئ المعيد النور البارئ الأول الآخر الظاهر الباطن العفو**

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الواحد الذي لولاه لضاع العباد والخلق بين تعدد الآلهة فسبحانه وتعالى عما يصفون .

٦٨- الصمد : السيد الذي ترجع إليه كل الأمور فهو المقصود الذي يلجأ إليه كل الخلق لكماله وجماله وجلاله تعالى شأنه . وتتجلى عظمة الصمد سبحانه أنه عز وجل منه بدأ كل شيء وإليه ينتهي كل شيء فلا والد له ولا ولد ولا شريك ولا زوجة ولا ند، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾[الإخلاص] .

ومما يندرج من الأسماء تحت هذا الاسم، اسما (المقصود) و (السيد) وفي محكم التنزيل قوله جلت عظمته : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ ۝٩ ﴾[النحل] . وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**السيد الله تبارك وتعالى**)[أبو داود وأحمد] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الصمد الذي لولاه لما وجد الخلق من يقصدوه في حوائجهم سبحانه .

٦٩- القادر : الذي له مطلق التصرف وكل شيء تحت قدرته وتصرفه ولا قدرة لأحد على التحرر من ذلك أبداً، وكل قدرة هي منه مدد وعطاء . وتتجلى عظمة القادر سبحانه أنه عز وجل المتصرف الوحيد في هذا الكون لا سواه أبداً، وفي محكم التنزيل

الغفار الوهاب الفرد الصمد الوكيل الكافي الباقي الحميد المقيت الدائم المتعالي ذا الجلال والإكرام الولي النصير الحق المبين المنيب الباعث المجيب المحيي المميت الجميل الصادق الحفيظ المحيط الكبير القريب الرقيب الفتاح التواب القديم الوتر الفاطر الرزاق العلام العلي العظيم الغني الملك المقتدر الأكرم الرءوف المدبر المالك القاهر الهادي الشاكر الكريم الرفيع الشهيد الواحد ذا الطول ذا المعارج ذا الفضل الخلاق الكفيل الجليل) .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ﴿٦٥﴾ ﴾[الأنعام] .

ومن أسمائه بهذا المعنى اسم (القدير) وفي محكم التنزيل قوله تعالى في آيات كثيرات من كتابه العزيز : ﴿ والله كل على شيء قدير ﴾ .

ومما يندرج من الأسماء تحت هذا الاسم، اسم (المسخر) وفي محكم التنزيل قوله جل جلاله : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴿١٢﴾ ﴾[الجاثية] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو القادر الذي أمد الخلق والعباد بكل ما ينفعهم لا قادر سواه سبحانه .

٧٠- المقتدر : الذي سبب أسباب الأمور فلا أسباب تحكمه أبداً بل له مطلق القدرة والتصرف . وتتجلى عظمة المقتدر سبحانه أنه عز وجل متى شاء عطل الأسباب وأوقف عملها وأبطلها لا معقب له أبداً، وفي محكم التنزيل قوله سبحانه : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾[الكهف] .

ومما يندرج من الأسماء تحت هذا الاسم، اسم (المتقن) وفي محكم التنزيل قوله جل جلاله : ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴿٨٨﴾ ﴾[النمل] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو المقتدر الذي هو أعلم بحال خلقه وبضعفهم فجعل لكل شيء سبباً سبحانه .

٧١- المقدم : أي الذي يمكّن بقدرته وحكمته ورحمته من شاء بما شاء فيجعله يداً على من سواه . وتتجلى عظمة المقدم سبحانه أنه عز وجل لا مانع لما أراد فمتى شاء هيأ الأسباب لمن شاء كيفما شاء، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾[يوسف] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو المقدم الذي يهيئ الأمور والأسباب لمن شاء بلا جهد من المخلوق ولا دراية فسبحانه وتعالى عما يصفون .

٧٢- المؤخر : أي الذي يمنع التمكين بحكمته ورحمته من شاء بما شاء فيجعله دون سواه . وتتجلى عظمة المؤخر سبحانه أنه عز وجل لا ملزم له فيما أراد فمتى شاء منع الأسباب عمن شاء كيفما شاء، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾[إبراهيم] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو المؤخر الذي يمنع عمن شاء ما شاء مهما اجتهد وبذل فسبحانه .

٧٣- الأول : أي الذي ليس قبله شيء سبحانه، كان ولا يزال قائماً بذاته سبحانه . وتتجلى عظمة الأول أنه عز وجل منه انبثق الوجود وبوجوده أوجد ما شاء متى شاء لما شاء كيفما شاء، وفي محكم التنزيل قوله جل جلاله : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾[الحديد] . وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السماوات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء**)[البخاري] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الأول الذي من صنيعه هذا الخلق العظيم والكون الفسيح فسبحانه وتعالى عما يصفون .

٧٤- الآخر : أي الذي ليس بعده شيء ولا وجود لشيء إلا به ومنه . وتتجلى عظمة الآخر سبحانه أنه عز وجل باقٍ بعد كل شيء، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾[مريم] . وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم**

يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض)[متفق عليه] . فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الآخر الذي لا يموت وكل ما سواه إلى موت وهلاك فسبحانه .

٧٥- الظاهر : أي الذي ظهرت آثاره وقدرته في الكون فليس فوقه شيء وكل شيء يجري في الكون بقوته وقدره وقضائه وحكمه وحكمته وإذنه وعلمه . وتتجلى عظمة الظاهر سبحانه أنه عز وجل ظهرت آثار قدرته وعظمته في كل جنبات الكون فلا تصرف إلا له عز وجل، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[يونس] . وقوله جلت عظمته : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴿٤﴾ ﴾[الأحقاف] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الظاهر في كل شيء من خلقه بآثاره وقدرته وتصريفه وتدبيره سبحانه .

٧٦- الباطن : أي الذي ليس دونه شيء وهو من خلف كل شيء، فالخلق خلقه والأمر أمره والقدر قدره والقضاء قضاؤه والعبد عبده ولا واقع ولا حادث إلا منه وبه، فقدرته وتصرفه في كل أوجه الوجود على وجه الحقيقة . وتتجلى عظمة الباطن سبحانه أنه عز وجل به قام كل شيء من خلقه بقوته وبحكمته وبرحمته وبعلمه وأنه عز وجل الممد بالأسباب من خلف كل شيء ولولاه لما كان شيئاً مما كان، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الباطن الذي في كل شيء له يد طولى خفية تعمل سبحانه وتعالى عما يصفون .

٧٧- الوالي : الذي تولى الأمور تقديراً وتصريفاً وتدبيراً فخضع له كل شيء وكل الخلق يؤول إليه تعالى وبتدبيره وتصريفه قام . وتتجلى عظمة الوالي سبحانه أنه عز

وجل المتكفل بكل خلقه وبكل ما ينفعهم، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾[الرعد] .

ومن أسمائه بهذا المعنى اسم (المولى) وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾[الأنفال] .

ومما يندرج من الأسماء تحت هذا الاسم، اسما (النصير) و(الناصر) بل هو (خير الناصرين)، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾[الأنفال] . وقول ربنا أيضاً جلت قدرته : ﴿ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾[آل عمران] . فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الوالي ولولاه لما تولى العباد وتدبير أمورهم أحد فسبحانه .

٧٨- المتعال : الذي تعاظمت ذاته وتناهت وجلت صفاته عن كل مثيل أو شبيه أو عيب أو نقص، فهو سبحانه عليُ المكان والقدر والقدرة . وتتجلى عظمة المتعال سبحانه أن الإنسان كلما تدبر في الكون كلما تكشفت له عظمة ذاته وتعالي صفاته سبحانه، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾[الرعد] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو المتعال الذي تنزهت صفاته عن الإحاطة والإدراك ففاقت كل حد ووصف سبحانه وتعالى عما يصفون .

٧٩- البر : الذي شمل الكائنات بعطاءاته وهباته وخيراته ونعمه وأوجد لخلقه عموم المنافع والمصالح فهو الخير المطلق ومنه الخير وإليه الخير وهو إله كل الخير . وتتجلى عظمة البر سبحانه أنه عز وجل يعطي الجميع فلم يحرم لا كافراً ولا فاجراً من خيره، وفي محكم التنزيل قوله سبحانه : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الطور] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو البَر الذي جعل البِر في كل شيء من أمور خلقه وشؤون الحياة سبحانه .

٨٠- التواب : الذي يعرِّض العباد للتوبة في كل وقت وحين ولم يحرمهم من مواطنها وفرصها تعالى شأنه . وتتجلى عظمة التواب سبحانه أنه عز وجل شرع أوقات التوبة آناء الليل وأطراف النهار ليتوب العباد متى شاءوا، وفي محكم التنزيل قوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[البقرة] . وقوله جلت عظمته : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا ﴿٨﴾ ﴾[التحريم] . وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**)[مسلم] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو التواب ولولا ذلك لهلك العباد في شر أعمالهم فسبحانه وتعالى عما يصفون .

٨١- المنتقم : المجازي على العمل الذي لا يترك العباد هملاً وسيجازيهم على أعمالهم خيراً كانت أو شراً . وتتجلى عظمة المنتقم أنه عز وجل لا يفلت من انتقامه أحد مهما كان، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[السجدة] .

ومن أسمائه بهذا المعنى اسم (ذو انتقام) وفي محكم التنزيل قوله سبحانه : ﴿ فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ﴿٤٧﴾ ﴾[إبراهيم] .

ومما يندرج من الأسماء تحت هذا الاسم، اسما (المجازي) و (الدّيان) وفي محكم التنزيل قوله جلت عظمته : ﴿ لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥١﴾ ﴾[إبراهيم] . وقوله تعالى : ﴿ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[الواقعة] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو المنتقم الذي سيُوقف كل الخلق بين يديه للحساب والجزاء سبحانه .

٨٢- العفو : الذي يحب الصفح والتجاوز عن قُدرة وحكمة فيقدم العفو والرحمة على العقوبة والانتقام سبحانه . وتتجلى عظمة العفو أنه عز وجل يعامل بالرحمة أكثر مما يعامل بالعذاب فيتجاوز سبحانه عن الكثير ولا يؤاخذ بكل ذنب، وفي محكم التنزيل قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ ﴾[الشورى] . وفي الحديث النبوي النبوي قوله ﷺ : (**لما قضى الله على الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي**) وفي رواية : (**إن الله كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي**)[متفق عليه] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو العفو الذي لا يتغير على عباده رغم كثرة معاصيهم ولا يمنع خيره عنهم رغم تفريطهم في عبادته وطاعته كما ينبغي له جل ربنا في علاه .

٨٣- الرءوف : مريد الخير والنفع لخلقه يتقرب إلى عباده بالرحمة والتجاوز لعلمه بضعفهم وحاجتهم له ولنعمه جلت عظمته . وتتجلى عظمة الرؤوف أنه عز وجل خفف عن عباده التكاليف فلم يحمِّلهم ما لا يطيقون وما لا طاقة لهم به، وفي محكم التنزيل قوله جل شأنه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٥﴾ ﴾[الحج] .

ومما يندرج من الأسماء تحت هذا الاسم، اسم (الطيب) ففي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً**)[مسلم][1] .

---

[1] والحديث بتمامه قوله ﷺ : (**أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال** : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ ﴾ .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الرءوف ولولا ذلك لحار العباد في أقدار دنياهم وفي أعباء العبادة والطاعة وفي عاقبة التفريط والتقصير في حقه فسبحانه وتعالى عما يصفون .

٨٤- مالك الملك : الذي لا مالك لشيء في هذا الكون سواه، فهو ملك الملوك وكل مُلكٍ منه منَّة وعطاء لما شاء من خلقه . وتتجلى عظمة مالك الملك أن كل شيء في هذا الكون قد خضع له عز وجل فلا تصرف إلا له جلت قدرته، وفي محكم التنزيل قوله جل شأنه : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴿٢٦﴾ ﴾[آل عمران] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو مالك الملك الذي كل ما في هذا الكون خاضع له وفي قبضته وتحت سلطانه وسيطرته وقهره سبحانه .

٨٥- ذو الجلال والإكرام : أي ذو العظمة والعزة والكبرياء والقدرة والغنى التام الذي تعالى شأنه عن كل شأن فتعالت ذاته عن كل ذات وجلت صفاته عن كل الصفات، والإكرام أي المنعم المتفضل لمن يستحق ولمن لا يستحق . وتتجلى عظمة ذو الجلال والإكرام أنه عز وجل قد يعذب بما ظاهره الرحمة فربما أخرج الرحمة من ثنايا العذاب والعذاب من ثنايا الرحمة، وربما كان عطاؤه منعاً ومنعه عطاء، وفي محكم التنزيل قوله جلت قدرته : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾[الرحمن] .

وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴿١٧٢﴾ ﴾ . **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك ؟)** .

ومما يندرج من الأسماء تحت هذا الاسم، اسم (ذي الطول) أي كثير الخير والعطاء والإنعام والتفضل، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾[غافر] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو ذو الجلال والإكرام الذي اتصف بكل صفات العظمة والعزة والكبرياء عن استحقاق تام وكمال متناهٍ سبحانه .

٨٦- المقسط : الذي أقام ملكه على أساس العدل وقسط الميزان في كل شيء من أمور الدنيا والآخرة . وتتجلى عظمة المقسط أنه عز وجل أمر العباد بالعدل والاعتدال في كل شيء من أمور الدين والدنيا، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجرات] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو المقسط الذي أمر بالقسط والعدل في كل شيء سبحانه .

٨٧- الجامع : القادر على لمّ ما تفرق، وهو جل شأنه جامع الأضداد وجامع الناس ليوم لا ريب فيه للجزاء والحساب . وتتجلى عظمة الجامع أنه عز وجل هو القادر على جمع ما شاء متى شاء كيفما شاء وبأهون الأسباب الظاهرة، وفي محكم التنزيل قوله تبارك وتعالى : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ ﴾[آل عمران] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الجامع الذي لولاه لتاه العباد ولتفرق أمرهم وحارت شؤونهم فيما ينفعهم في دنياهم سبحانه .

٨٨- الغني : كامل صفات الكمال والجلال والجمال الذي استغنى بذاته عن كل أحد لأن كل صفاته ذاتية فيه فلا يحتاج لشيء أبداً فهو المنزه عن الحاجة سبحانه .

وتتجلى عظمة الغني أنه عز وجل لا ينتفع بطاعة الطائعين مهما بلغت ولا يتضرر بمعصية العاصين مهما كانت، وفي محكم التنزيل قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[آل عمران] . وقوله جل جلاله : ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ ﴿١٣٣﴾ ﴾[الأنعام] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الغني الذي لا يحتاج للخلق أبداً بل الخلق في حاجته دوماً سبحانه .

٨٩- المغني : الذي يمد غيره بعموم النعم والآلاء ولا غنيٌ سواه، ولا غناً إلا منه وبه . وتتجلى عظمة المغني أنه عز وجل منه أسباب الغنى وأسباب الفقر لا سواه، وفي محكم التنزيل قوله سبحانه : ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾[النجم . وأقنى أي أعطى مالاً كثيراً يُقتنى ويُدخر] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو المغنى الذي لولاه لعجز الخلق والعباد عن تحصيل مراداتهم فسبحانه وتعالى عما يصفون .

٩٠- المانع : الحاجز لما أراد الذي لا يعطي من شاء ما شاء متى شاء كيفما شاء سبحانه . وتتجلى عظمة المانع أنه عز وجل إذا لم يرد شيئاً منعه بأهون الأسباب الظاهرة أو الباطنة، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ ۖ ﴿٨١﴾ ﴾[هود] .

ومما يندرج من الأسماء تحت هذا الاسم، اسما (الكافي) و(الواقي) وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ ﴿٣٦﴾ ﴾[الزمر] . وقوله سبحانه : ﴿ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ ﴿٩﴾ ﴾[غافر] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو المانع والذي لولاه لما وجد الخلق من يحجز عنهم الضر والسوء والكرب والبلاء فسبحانه .

٩١- الضار : الذي بيده أسباب الهلاك والأذى ولا قدرة للعباد على مضرته أبداً، وضرره سبحانه لا عن تجبر وطغيان وإنما لمصلحة للخلق . وتتجلى عظمة الضار أنه عز وجل متى شاء أضر من شاء بما شاء بأهون الأسباب الظاهرة أو الباطنة، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴿١٧﴾ ﴾[الأنعام] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الضار الذي يسلط على خلقه ما يضرهم في دنياهم ليرحمهم في أخراهم فسبحانه .

٩٢- النافع : الذي بيده أسباب الفوز والفلاح والعطاء ولا نافع إلا هو سبحانه بما أراد وقدر وقضى . وتتجلى عظمة النافع أنه عز وجل ينفع من شاء ما شاء متى شاء وبأهون الأسباب الظاهرة أو الباطنة، وفي محكم التنزيل قوله جل جلاله : ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴿١٨٨﴾ ﴾[الأعراف] .

ومما يندرج من الأسماء تحت هذا الاسم، اسما (الشافي) و (المعافي) وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾[الشعراء] . وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**الحمد لله الذي عافاني**)[الترمذي وابن ماجة][1].

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو النافع الذي يصرف السوء ولولاه لضر الخلق والعباد أنفسهم بأنفسهم فسبحانه .

٩٣- النور : ذو السبحات والبهاء الذي أضاء نور وجهه ووجوده وعظيم قدرته فاستنارت منه كل العوالم، فهو سبحانه نور في ذاته ومنه أنار كل شيء . وتتجلى عظمة النور أنه عز وجل أنار كل شيء في كونه فالكل من نوره ممدود جل في علاه،

---

[1] والحديث بتمامه قوله ﷺ : (**من رأى مبتلى، فقال : الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً، لم يصبه ذلك البلاء**) .

وفي محكم التنزيل قوله تبارك وتعالى : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ ﴿٣٥﴾ ﴾[النور] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو النور الذي لولاه لأظلم الكون كله بما فيه فسبحانه .

٩٤- الهادي : المرشد الدال لخلقه والمعلم لعباده ما شاء متى شاء لما شاء كيفما شاء سبحانه . وتتجلى عظمة الهادي أنه عز وجل هدى الجميع ووفق كل مخلوق لما هو أنفع له في حياته، وفي محكم التنزيل قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾[الرعد] . وقوله جل جلاله : ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾[طه] .

ومما يندرج من الأسماء تحت هذا الاسم، اسما (المرشد) و (المعين) وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾[الكهف] . وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**)[أبو داود والنسائي وأحمد] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الهادي الذي لولاه لما عرف الخلق والعباد طريقهم للخير والبر والحق والنور والهدى والرشاد والصلاح والفلاح فسبحانه وتعالى عما يصفون .

٩٥- البديع : ذو الحسن المطلق والجمال البالغ والقدرة المتناهية الذي جلت عظمته وقدرته وشأنه فأحسن تكوين خلائقه وصنعته على غير مثال سابق . وتتجلى عظمة البديع أنه عز وجل أبدع صنعته وأجمل خليقته وقوّم كلٌ لما يناسبه فظهرت آثاره في الكون بكل حُسنٍ واقتدار وروعة وجمال وحكمة وإفضال، وفي محكم التنزيل قوله

سبحانه : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴿١١٧﴾ ﴾[البقرة] . وقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴿٧﴾ ﴾[السجدة] .

ومما يندرج من الأسماء تحت هذا الاسم، اسم (الجميل) ففي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن الله جميل يحب الجمال**)[مسلم][1].

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو البديع الذي بجماله أحسن الخلق والتكوين والتقدير والتصريف والتدبير سبحانه .

٩٦- الباقي : الدائم الذي لا يموت ولا يتغير أبداً لا ذاتاً ولا صفاتاً . وتتجلى عظمة الباقي أنه عز وجل لا تجري على الحوادث ولا يتغير بالمتغيرات ذو كمال وجمال وجلال مطلق، كان ولا يزال كما هو أزلاً، وفي محكم التنزيل قوله جل في علاه : ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾[طه] . وقوله جلت عظمته : ﴿ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[القصص] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الباقي لأنه الحق المطلق وما سواه إلى زوال وفناء فسبحانه وتعالى عما يصفون .

٩٧- الوارث : الذي له يرجع كل شيء ومآل كل الأمور ومصائر الخلق إليه سبحانه . وتتجلى عظمة الوارث أنه عز وجل حي لا يموت إليه تصير جميع الأمور، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ ﴿١٢٣﴾ ﴾[هود] . وقوله جلت قدرته : ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴿١٠﴾ ﴾[الحديد] .

---

[1] والحديث بتمامه قوله ﷺ : (**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، قال : إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس**) .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الوارث الذي لا ملك لأحد من الخلق إلا وهو عائد منه إلى صاحبه الأول وهو الله سبحانه وتعالى عما يصفون .

٩٨- الرشيد : ذو الحكمة البالغة والعلم المطلق الذي تصدر كل أفعاله لتحقق لخلقه منافع ومصالح ومقاصد حسنة لما فيه خيرهم . وتتجلى عظمة الرشيد أنه عز وجل أفاض على عباده بعموم النعم والمنافع وأمر بكل ما يحقق ذلك لهم، وليس شيء من قدره عبث أبداً، وفي محكم التنزيل قوله سبحانه وتعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا ﴿١١٥﴾ ﴾[المؤمنون] . وقوله جل جلت عظمته : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ﴿٢٧﴾ ﴾[ص] . وقوله جلت قدرته : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾[الدخان] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الرشيد الذي قدر كل شيء وجعل له حكمة ومقصد من وجوده والذي لولاه لما رشد أحد من الخلق والعباد في دنياه فسبحانه وتعالى عما يصفون .

٩٩- الصبور : الذي لا يعجل على خلقه وعباده بجزاء وعقوبة وهلاك وكل شيء عنده له أوان ووقت معلوم، فصبره عن علم وقدرة وحكمة سبحانه . وتتجلى عظمة الصبور أنه عز وجل أمدّ أجل الدنيا وجعل تصريفها على أقدار موقوتة ولو شاء سبحانه لقصّر الأمد ولعجّل العذاب، وفي محكم التنزيل قوله سبحانه : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ﴿٦١﴾ ﴾[النحل] .

فهل استحضرت يا ابن آدم أن الله جل في علاه هو الصبور الذي جعل لكل شيء وقتاً معلوماً ينقضي فيه فلم يعجل على الخلق والعباد سبحانه لأنه لا نفاذ لأحد من سلطانه وملكه جل ربنا في علاه .

هذه هي بعض أسماء الله تعالى وصفاته الواردة في الوحيين، والتي من خلالها يعرف المسلم ربه عز وجل ويعبده بها ويرجوه، وعوائد تلك الأسماء ونفعية الدعاء بها في كل الأحوال حاصلة للمسلم نفسه وواقعة له، فالمسلم حين يدعو الله تعالى باسم من أسمائه سبحانه فهو حينها يستدعى الله تعالى بصفة من صفاته عز وجل ليحقق له ما يريد، بحسب مدلول ذاك الاسم وتلك الصفة له جلت عظمته .

فكأن الله جل في علاه ينتظر دعوة العبد في أي وقت كان، فما أن ينطق لسان العبد بما يريد حتى يحقق له جل شأنه ما أراد، والعبد وقتها يدعو ربه على قدره وضعف حاله والله تعالى يعطي العبد على قدره وقدرته هو جل جلاله .

فحقيقة لسان العبد حال الدعاء أنه يستجلب قدرة الله جلت عظمته تلك لتكون بحسب ما أراد، والله سبحانه يجيبه بلسان الحال فيقول : (أطلب يا عبدي وأنا أجب دعوتك) . وهذا مدلول قوله سبحانه : ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة] . وفي الحديث القدسي الشريف : (**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**)[متفق عليه] .

ومن عظمة الله تعالى أنه عز وجل لا يستجيب كل الدعاء وإلا لهلك الناس ولكنه جلت عظمته يتحكم بالدعاء كيفما شاء وحسبما يريد فلا يستجيب من دعاء العبد إلا ما كان فيه نفعه وتحقيق مصلحته[1]، قال القائل العزيز سبحانه : ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ﴿١١﴾ ﴾[يونس] .

[1] الناشر : للمؤلف رسالة لطيفة موجزة في الدعاء بعنوان : أسرار الدعاء ومفاتيح السماء .

وعندئذ فالمسلم يكون قد جعل الله تعالى بينه وبين كل ما يريد، فمتى عجز عن شيء لجأ إلى الله تعالى ليعطيه ويقويه ويمده ويعينه وينصره ويسخر له وينتقم له ويوفقه ويقيه ويمنع عنه ...

والله سبحانه حينها يهيئ للمسلم الأمور ويسخرها له ويجعلها تنفعل وتنقاد لمراده بحسب دعوته تلك وبمدى استجابة الله تعالى له، فيستفيد المسلم من كل قدرة لله تعالى بذلك التسخير .

فكانت حقيقة الأمر أن المسلم قدّم القليل من العمل ليأخذ الكثير من عطاءات وفيوضات ورحمات ونفحات ربه وخالقه ومعطيه، من توفيق وتسخير وعطاء ومنح ونفع وحفظ ودفع سوء وما إلى ذلك .

ولهذا قال جل جلاله في الحديث القدسي : (**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته**)[البخاري] . والمعنى أن المسلم حين يتقرب إلى الله تعالى بالنوافل فسوف يصل بها إلى درجة الولاية الحقيقية والحب الأعظم لله عز وجل فينقله ربه حينها إلى درجة البصيرة والمعرفة والتوفيق والسداد والصواب في كل أموره وشؤونه ويمده سبحانه بمدد منه فتنتقل حينها قدرة جوارحه وأعضائه من المحسوس فقط إلى المحسوس واللا محسوس أيضاً، فيوفقه الله سبحانه لكل ما يحب ويحجزه عن كل ما لا يحب سبحانه، فيرى العبد الحقائق حينها رأي العين، ويبصر أكثر من مدى بصره إلى مدى بصيرته، وهذا هو مفاد قوله ﷺ : (**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور**

الله، ثم قرأ : ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾)[الترمذي والبخاري في التاريخ الكبير وغيرهما . والمتوسمين أي المتفرسين، الناظرين بعين البصيرة لا بعين البصر] .

نسألك يا الله بكل اسم هو لك ... رحيم ورحمن ملك ومؤمن
سلام وقدوس عزيز مصور ... جبار متكبر خالق ومهيمن
بارئ وغفار وهاب وقهار ... رزاق وفتاح عليم وقابض
معز وباسط مذل ورافع ... سميع وحكم بصير وخافض
عدل ولطيف خبير وماجد ... حليم وشكور غفور وحسيب
عليٌ وكبير حفيظ ومقيت ... جليل وعظيم مجيب ورقيب
كريم وواسع حكيم ومجيد ... ودود وحق باعث وشهيد
وكيل وقوي ولي وحميد ... محصي ومبدئ متين ومعيد
محيٍ ومميت حي وقيوم ... واحد وحميد قادر وواجد
مقتدر وباطن متعال وظاهر ... مقدم ومؤخر أول وآخر
والٍ وتواب برٌ ومنتقمٌ ... مالك للملك رءوف وعفو
وربٌ ذو جلال وإكرام ... مقسط وجامع ضار ونافع
غني ومغنٍ مانع ونور ... هادٍ ورشيد باقٍ وصبور
وراث أبداً لكل الخلائق ... بديع خلقه عبر الدهور
نسألك يا الله بأسمائك التي ... هي الحسنى كذاك ما لها نظير

وكلما عرف المسلم أسماء ربه سبحانه وصفاته؛ عمّق ذلك الإيمان في قلبه ورسّخ قدم عليه، وقاده للعمل بشرع ربه جل في علاه ووفق منهجه الأعلى القويم .

رؤية الله تعالى :

وحسب المؤمن في دنياه الإيمان والتصديق بوجود الله سبحانه من غير رؤيته رأي العين، لأن الله عز وجل لو كشف لنا عن نفسه ورأيناه لما كان هناك مجال للابتلاء والامتحان بالإيمان والكفر والطاعة والعصيان لأن الأمر سيكون حينها مشهداً عياناً لا شك فيه ولا لبس، وبالتالي كان ولا بد من أن يحجب سبحانه وتعالى عنَّا ذاته العلية ليتحقق حينها إيمان المؤمن عن تصديق وقناعة بربه عز وجل . غير أنه سبحانه كشف لنا عن صفاته غير المتناهية وعن قدرته اللا محدودة لتدلنا على وجوده فنعرفه بآثاره وبخلقه وبقدرته وتصرفه في الكون جلت عظمته وتعالى شأنه .

كما أن عقولنا بها من القصور الذاتي التكويني ما لا تحتمله وما لا يمكن أن تتصوره عن تلك الذات العليّة، حتى أجسادنا لا تقوى على ذلك .

ولنا في قصة سيدنا موسى عليه السلام في الذكر الحكيم عبرة وعظة حين سأل ربه عز وجل أن يراه، فقال الله تعالى له : (لن تراني) نلحظ أن الله تعالى في الآية لم يقل : (أنا لا أُرى) بل قال سبحانه : (لن تراني) أي أنك أنت يا موسى لن تراني، ولن تستطيع ذلك لِما أنت عليه من ضعف الروح والجسد، وأن كان غيرك من خلقي قد يراني .

وبالفعل تجلى الله تعالى للجبل الذي هو أقوى من موسى عليه السلام وأشد وأثبت، فما أن تجلى الله تعالى للجبل الصلب الأصم الشامخ كالوتد حتى صار دكاً كومه تراب متفتت .

فلما رأى موسى عليه السلام هول ذلك المنظر صُعِق وخرَّ مغشياً عليه، صُعِق موسى عليه السلام وهو نبيٌّ كليمٌ ورسولٌ من أولوا العزم من رؤية المتجلى عليه وهو الجبل، فكيف لو رأى المتجلي وهو الله سبحانه وتعالى جل ربنا في علاه .

ويا ترى حين تجلى الله تعالى للجبل تُراه بأي صفة تجلى له ! بصفة من صفات الكمال ! أم بصفة من صفات الجمال ! أم بصفة من صفات الجلال ! أكَشَف سبحانه وتعالى عن نفسه رداء العزة والعظمة ! أم ظهر منه عز وجل قدر يسير فقط منه اندك الجبل وتفتت ! سبحانه وتعالى عما يصفون .

إذن فمن رحمة الله سبحانه وتعالى بنا أن دلنا على نفسه في هذه الدنيا بأمرين :

١- عرفنا وجوده بآثاره في الكون وتدبيره وتصريفه لكل ما فيه من خلائق وكائنات .

٢- علمنا من أسمائه وصفاته سبحانه ما يعيننا على معرفته عز وجل أكثر، ومن ثم نعبده وندعوه ونتقرب منه وإليه جل ربنا في علاه بما تعلمناه .

والإيمان هو السبيل الوحيد الأوحد الذي يحقق للمسلم رؤية ربه سبحانه وتعالى في الدنيا بقلبه وذلك ببلوغ درجة الإحسان التي قال فيها ﷺ كما في حديث جبريل عليه السلام : (**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**)[متفق عليه] . والمعنى أن يستحضر العبد رقابة الله تعالى عليه في كل شؤونه وأموره وتصرفاته كما لو كان يرى ربه بالفعل .

أما رؤية الله تعالى رأي العين والكشف عن ذاته العُليا العليَّة جل ربنا في علاه فإن ذلك يكون في الآخرة، والناس في تلك الرؤية فريقان :

أما الكافر فلا يرى ربه أبداً وهذا أكبر حرمان له جزاء كفره وإعراضه عن مراد ربه سبحانه، قال تعالى في شأن الكفار : ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ**

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾[آل عمران] . وقال جل جلاله : ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾[المطففين] .

وأما المؤمن فستُعد روحه وجسده في الآخرة الإعداد اللائق لتحمل رؤية الله تبارك وتعالى رأي العين . وذلك في موضعين :

– **الموضع الأول** . على أرض المحشر للجزاء والحساب قبل دخول الجنة، كما في حديث الترجمان قوله ﷺ في الحديث النبوي الشريف : (**ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة**)[متفق عليه] .

وقوله ﷺ حين سُئل هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال ﷺ : (**نعم، هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة، ضوء ليس فيها سحاب**، قالوا : لا، قال : **وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر، ضوء ليس فيها سحاب**، قالوا : لا، قال النبي ﷺ : **ما تضارون في رؤية الله عز وجل يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما**...)[متفق عليه . وتضارون أي تشكّون] .

– **الموضع الثاني** . في الجنة دار السلام، مقام الكرامة ومستقر الرحمة إن شاء الله تعالى لمن أحب ورضي عنه عز وجل . وتلك الرؤية هي أعظم منحة منه جل شأنه لعباده الصالحين .

ورؤية الله تعالى في الجنة تعد أكبر نعمة يُعطاها المؤمن وأكبر حرمان يحرمه الكافر مصداقاً لقوله ﷺ : (**إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال : يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم، فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من**

النار ؟ قال : فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل) . وفي رواية زاد (ثم تلا هذه الآية ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾)[مسلم] . عبر سبحانه وتعالى بلفظ الحسنى الوارد في الآية وأراد به الجنة التي أعدها عز وجل لعباده الصالحين، أما الزيادة فهي رؤية وجهه الكريم جل جلاله وتقدست أسماؤه، ولا نعمة فوق ذلك أبداً .

وتلك الرؤية في الجنة هي أيضاً منازل كبرى ومقامات عليا ودرجات متفاوتة يختلف فيها العباد بقدر صدق إيمانهم وأعمالهم الصالحات كما بين ذلك ﷺ بقوله : (**إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية** ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾)[الترمذي والحاكم والبيهقي في البعث والنشور وغيرهم] .

وفي رواية : (**إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه، وإن أعلاهم منزلة لمن ينظر إلى الله تعالى في اليوم مرتين**)[الترمذي وأحمد] .

وبعد دخول الجنة يحلّ ربنا جل في علاه رضوانه بواسع فضله وعظيم كرمه على أهلها فينعمون فيها إلى أبد الآبدين لا انقطاع لنعيمها أبداً، مصداقاً لقوله جلت عظمته : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾[التوبة] . وقوله جلت قدرته : ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾[التين] .

وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن الله يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى ؟ يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : يا رب وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً**)[متفق عليه] .

وبعد حلول رضوان الله جل ربنا في علاه يكتب لأهل الجنة الخلود الأبدي والنعيم المقيم السرمدي الذي لا انقطاع فيه ولا زوال في دار المقامة الأبدية، مصدقاً لقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾[التغابن] .

خلود لا موت بعده أبداً، وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**يجاء بالموت يوم القيامة، كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، فيقال : يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم، هذا الموت، قال : ويقال : يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ قال فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم، هذا الموت، قال فيؤمر به فيذبح، قال : ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت**، قال : ثم قرأ رسول الله ﷺ : {وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون} . وأشار بيده إلى الدنيا)[متفق عليه] .

تكلم هي غاية مُنى المؤمن النجاة من النار، والفوز بالجنة دار الرضوان والنعيم المقيم ورؤية البارئ فيها الرحيم الرحمن، ذلك هو الفوز العظيم، الذي قال سبحانه فيه في محكم النزيل : ﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ ﴿١٨٥﴾ ﴾[آل عمران] .

ولا يدرك ذلك الفوز العظيم إلا من كان ذو حظ عظيم، وفي المعجز الحكيم قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾[فصلت] .

لذا كان لا يسأل بوجه الله سبحانه وتعالى إلا أمر عظيم إلا وهو الجنة، وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**لا يسأل بوجه الله، إلا الجنة**)[أبو داود والبيهقي في الكبرى والشعب والأسماء وغيرهما] .

وما ذاك إلا لأنها غالية بحق، وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة**)[الترمذي والحاكم والبيهقي في الشعب] . فاللهم يا الله إنا نحمدك ونستعينك ونستغفرك ونستهديك ونثني عليك الخير كله فلك الحمد حتى ترضى وإذا رضيت وبعد الرضا كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك وندعوك بكل اسم هو لك ظاهراً وباطناً ونسألك بجاهك العظيم ووجهك الكريم وسلطانك القديم يا ذا العرش العظيم يا حنان يا منان يا رحيم يا رحمن أن تكتب لنا رضوانك التام الذي لا سخط بعده وأن تثبتنا على الحق حتى نلقاك في دار كرامتك ومستقر رحمتك الجنة دار السلام يا الله يا الله يا الله . اللهم آمين .

وأخيراً :

وفي ختام هذه التذكرة والموعظة والتبصرة . أقول : يا أيها الإنسان ! إذا عرفت كل ذلك عن ربك العلي العظيم في قدسه الأعلى . وعن نفسك الضعيفة الأمّارة بالسوء !

١- وعرفت ما عرفت عن عظمة ربك الرحيم الرحمن وقدرته .

٢- وعرفت نبيك الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام .

٣- وعرفت كتابك المجيد وأنه جاء من لدن حكيم حميد يهدي إلى الصراط المستقيم .

٤- وعرفت الدين الحق الذي الذي ارتضاه عز وجل لخلقه ولا دينه سواه .

٥- وعرفت الشرع المطهر وأنه أفضل شرع جاء بالمنهج الحق لبلوغ دار الصدق .

٦- وعرفت القصد من خلق ربك لك ووجودك في هذه الدنيا للعبادة والطاعة .

٧- وعرفت دنياك وما فيها من فتن وبلاء وضنك ومصائب وهوان .

٨- وعرفت الجنة وما فيها من نعيم مقيم في دار الحيوان .

٩- وعرفت النار وما فيها من عذاب وجحيم ونكال ونيران .

١٠- وعرفت عدوك اللدود الطريد الرجيم الشيطان .

إذا عرفت كل ذلك ! وعلمته علم اليقين ! وفهمت المرادات منه ! وأيقنت طريق نجاتك من هلاكك ! وجب عليك ما يلي :

- الإيمان بالله تعالى رباً وإلهاً وخالقاً وقادراً ورازقاً ومصرفاً ومدبراً .
- عبادة الله سبحانه كما شرع لأنه المستحق لذلك الآمر به جل في علاه .
- طاعته جلت عظمته في كل ما أمر ونهى وعدم التفريط في ذلك .
- التوكل على الله جل شأنه والاعتصام به في كل شؤون الحياة وجميع الأوقات .
- شكر الله جل جلاله على كل ما أعطى وعلى كل ما أخذ سبحانه .
- اتباع هدي سيد المرسلين محمد ﷺ الداعي إلى رضوان الله جل في علاه .

- الاعتصام بالقرآن الكريم ومنهجه الحق الذي جاء به وفيه وله .
- طلب الجنة بكل وسيلة والرغبة في نعيمها المقيم .
- الهرب من النار كل مهرب والرهبة من عذابها الأليم .
- مخالقة الناس بخلق حسن وعدم التكبر عليهم، فما أنت سوى واحد منهم .
- القناعة من الدنيا والرضا بالقليل منها والاستعداد للرحيل منها للقاء الرحمن الرحيم .
- عصيان الشيطان الرجيم والحذر من خطواته ووسوسته وهمزه ولمزه ونفخه ونفثه .

وبهذا تكتب لك النجاة من النار بئس القرار، وتفوز بالجنة دار المتقين إن شاء الله تعالى بمنتهى رحمته وكريم منته وواسع فضله جل ربنا في علاه .

وكما بدأت أول القول اختمه فأقول : سبحانك ربنا ما عبدناك كما ينبغي حق عبادتك، وما أطعناك كما ينبغي حق طاعتك، وما ذكرناك كما ينبغي حق ذكرك وما حمدناك كما ينبغي حق حمدك وما شكرناك كما ينبغي حق شكرك . سبحانك ربنا سبحانك ولا تقال إلا لك .

والحمد لله رب العالمين

سبحانه وبحمده

مناجاة

استشـــرفت نفـــسي للخـــير[1] ليـــلة ... فقلت لها يا نفس كُفي واقنعي
فلـيس ينـال الخيـر بالخيـر دائمـاً ... وكم من فقير عاش دنياه قانع
وليس تطيب النفس لمن كان مولعاً ... شغوفاً بحب المال في كل مطمع
ولكن تطيب النفس لمن كان قانعاً ... عفيفاً عن الشهوات لله طائع
معينـاً لكـل النـاس في كـل حـادث ... يجود بفيض يديه رضاً وتواضع
لنا في صروف الدهر أعاجيب جمة ... فيومٌ يضيق المرء ويوماً يوسع
يظـن الفـتى خـيراً بالدهـر مطلقـاً ... وغفل عن الغدرات وعن قَض مضجع
وغفل عن الآهات وعن لوم شامت ... وعن سوء خلق البعض وعن أنِّ موجع
فمـا ثَم إلا الله في الكـون رازقـاً ... يفيض على الأنسام من غير مانع
فطوراً يهب المال وطوراً يشيحه ... ويرفعه درجات فوق المسامع
وحينـاً يعطي العلم لمن كان راغباً ... له حِكم شتى في الخلق الهوامع
وقـد يمنح المنصب للمرء محنة ... فيغتر به الحمقى عن كل منفع
كـذا نعـرة الأنسـاب فخـراً وخَيلـة ... يُحقِّر شأن الناس زهوا مروع
وقـد يبتلـي بالعُجـب والكـبر خُلـة ... صفات تجر النفس الى فقرٍ مذقع
شـكوت الى الرحمـن حـالي وحـاجتي ... وسؤلي وآمالي إلى الله مفزع
فمُـنّ إلـه الخلـق علـى عبـدك الـذي ... يخاف ويرجوك محُب مُتابع
ويا من هو الرزاق لمن شاء حكمة ... وتمنع عمن شئت خيراً موزع

[1] يراد بالخير هنا المال، وفي محكم التنزيل : ﴿ وإنه لحب الخير لشديد ﴾ .

فجد لي بفيض منك إن كان لي به سعادة فانيةٍ وبقاءً واسع
أو امنع عني الخير إن كان مشغلاً وملهٍ عن الطاعات ومطغٍ ومطمعِ
ففي المنح والمنع خيراً لذي الحجى يدبر كل الكون بصيراً وسامع
ومن يك ذا فضل وخلق وحكمة فقد أوسع الرحمن له الخير فاسمع
خشيت على نفسي سرقي ولذتي بغفلة إيمان فلا منه أمنع
فلا تأمنن الدهر على أي نعمة يقلب حال الناس خفضاً ويرفع
فكم غافل فيه أمسى منعماً وأصبح محزوناً سبته المطامع
وكم من صحيح فيه يلهو مفرطاً فصار عليل الوقت أسير المضجع
يدور بخلدي الفكر فأحسب أنني ملكت زمام الأمر للنفس خادع
فيُصرف عني الأمر من غير أن يكن فلا طابت له نفسي ولا كان مَطمَع
كذاك هو الإنسان يجول بفكره بسبح كما الأحلام فيصحو مفزع
وتلك هي الأيام تأتيك دولة تُعز دَنِي القوم وذي اللب تُركِعِ
فيا من هو المغرور في الغي غارق عن البر والطاعات لاهٍ مضيع
تنبه قبل الموت يأتيك بغتة فلا عذرٌ حينئذ ولا حجة مُقنع
وتُسلم فيه الروح للخالق الذي ستوقف بين يديه للعرض المروع
فلا منجِ إلا الله لمن رضي زلفة ويقبل فيه القيل شفاعة شافع
فصلي إله الكون على خير شافع نبي منير الوجه بجبين أنصح
وسلم وبارك كذا على كل تابع لمنهجه دوماً الى يوم القوارع
صلاة وتسليماً وزيادة بركة بتعداد من صلى سجوداً وركّع

ابتهال

اللهم يا الله إنا نسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك

في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة

اللهم اجعلنا ممن ينادون يوم القيامة أدخلوها بسلام آمين

اللهم اجعلنا ممن لا تحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة

هذا يومكم الذي كنتم توعدون

ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون

اللهم اجعلنا ممن تدخل عليهم الملائكة من كل باب فيقال لهم

سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقب الدار

اللهم اجعلنا ممن يلقون فيها تحية وسلاما

اللهم اجعلنا ممن لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قيل سلاماً سلاماً

اللهم اجعلنا ممن يقال لهم سلام قولاً من رب رحيم

اللهم اجعلنا في الدنيا من جندك الغالبون ومن حزبك المنصورون ومن أوليائك

الصالحون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

اللهم أحينا وامتنا وابعثنا واحشرنا على لا إله إلا الله محمد رسول الله

اللهم احشرنا في زمرة سيدنا محمد صلى الله عليه وبارك وسلم وتحت لوائه

واسقنا من يده الشريفة شربة لا نظمأ بعدها أبداً . اللهم آمين .

تسابيح

سبحان من وسع كل شيء رحمة وعلماً وهو بكل شيء عليم .

سبحان من يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار ففطر القلوب وسوى النفوس وهدى العقول وركب الجوارح في الأجسام وكسى اللحم بالعظام فخلق الإنسان فجعله في أحسن تقويم .

سبحان من يعلم السر وأخفى ويعلم ما يسر الخلق وما يجهرون وهو مع الخلق أينما كانوا .

سبحان من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء وجعلنا خلفاء الأرض وجعلها قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً .

سبحان من يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه الذي يرزق العباد بغير حساب .

سبحان من خلق السماء والأرض وأنزل من السماء ماءاً فأنبت به حدائق ذات بهجة ما كان لنا أن ننبت شجرها .

سبحان من يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وهو على كل شيء قدير فخلق من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً .

سبحان الذي أخرج الخلق من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئاً وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة لعلهم يشكرون .

سبحان الذي يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل الغفور ذو الرحمة الغني ذو الرحمة .

سبحان الذي أخرج نبات كل شيء فجعل منه خضراً يخرج منه حباً متراكباً .

سبحان من عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة ولا حبة في ظلمات البر والبحر ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين .

سبحان الذي ما من دابة في الأرض إلا عليه رزقها وهو آخذ بناصيتها .

سبحان من له مقاليد السموات والأرض وهو السميع البصير .

سبحانك سبحانك ولا تقال إلا لك يا ملك يا قدوس يا سلام يا علي يا عظيم .

المراجع :

١- القرآن الكريم .

٢- كتب التفسير :

- تفسير عبدالرزاق .
- تفسير ابن أبي حاتم . تفسير القرآن العظيم .
- تفسير الطبري . جامع البيان .
- تفسير الثعلبي . الكشف والبيان عن تفسير القرآن .
- تفسير الواحدي . الوجيز في تفسير الكتاب العزيز .
- تفسير السمعاني . تفسير القرآن .
- تفسير البغوي . معالم النزيل في تفسير القرآن .
- تفسير القرطبي . الجامع لحكام القرآن .
- تفسير البيضاوي . أنوار التنزيل وأسرار التاويل .
- تفسير ابن كثير . تفسير القرآن العظيم .
- تفسير ابن عجيبة الأنجري . البحر المديد في تفسير القرآن المجيد .
- تفسير السيوطي . الدر المنثور في التفسير بالمأثور .
- تفسير الشوكاني . فتح القدير .
- تفسير الشعراوي . خواطر الشعراوي .

٣- الكتب الستة بشروحها :

(البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة) .

٤- كتب حديثية أخرى :

- مسند الإمام أحمد .

- السنن الكبرى . للنسائي .
- المستدرك على الصحيحين . للحاكم .
- سنن الدارقطني .
- صحيح ابن حبان .
- مسند البزار . البحر الزخار .
- المعجم الكبير والأوسط والصغير، ومسند الشاميين . للطبراني .
- السنن الكبرى، وشعب الإيمان، والبعث والنشور، والأسماء والصفات . للبيهقي .
- مصنف عبدالرزاق الصنعاني .
- مسند أبي يعلى الموصلي .
- البعث . لابن أبي داود .
- أمثال الحديث . للرامهرمزي .
- الفردوس بمأثور الخطاب . للديلمي .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . للهيثمي .
- الجامع الصغير وزيادته . للسيوطي .
- كنز العمال . للمتقي الهندي .
- سلسلتي الأحاديث الصحيحة والضعيفة . للألباني .

٥- كتب التأريخ :

- تاريخ نيسابور . للحاكم .
- تاريخ دمشق . لابن عساكر .

٦- كتب الرقاق :

- ذم الدنيا، وصفة الجنة، وصفة النار . لابن أبي الدنيا .

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . لأبي نعيم .
- العرش . للذهبي .
- العظمة . لابن أبي الشيخ الأصبهاني .

٧- كتب الأسماء والصفات :

- الجامع لأسماء الله الحسنى . حامد الطاهر .
- شرح أسماء الله الحسنى . سعيد وهف القحطاني .
- شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى . محمد بن صالح العثيمين .
- النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى . محمد الحمود النجدي .

٧- الموسوعات :

- الموسوعة العلمية الميسرة . إعداد أحمد شفيق الخطيب .
- الموسوعة الطبيعية الميسرة . إعداد أحمد شفيق الخطيب .
- الموسوعة العلمية الشاملة . إعداد أحمد شفيق الخطيب ويوسف خير الله .
- استكشف الكون ١-٢ . سائر بصمة جي .
- موسوعة الثقافة العلمية . بهيجة بهيجاني .
- النجوم والمجرات . أكاديميا .
- هذا خلق الله معجزة العظام . محمد دباس ود عارف كيلاني .

٨- برنامج تلفزيوني :

العلم والإيمان . د مصطفى محمود .

٩- كتب للمؤلف :

- في ظلال الحمد .
- المذهّب .

الفهرس

افتتاحية ٥
الكون الفسيح ٦
العالم العلوي ١٢
الإنسان ٣٠
كمال الله عز وجل ٤٠
دار الدنيا ٤٣
جمال الله سبحانه ٤٧
الجنة ٤٩
جلال الله تعالى ٦٠
النار ٦٢
حقيقة الإنسان ٧٢
حقيقة العبودية ٨٣
حقيقة تكوين الأجسام ٩٥
دلائل العبودية ١٠٠
أعداء الإنسان ١١٢
أسماء وصفات الله جلت عظمته ١١٧
رؤية الله تعالى ١٧٦
الخاتمة ١٨٢
مناجاة ١٨٤

ابتهال ١٨٦
تسابيح ١٨٧
المراجع ١٨٧
الفهرس ١٩١